

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الوحدة القرآنية
في سورة الشعراء

إعداد

د/ عبدالله محمد أديب محمد شمس الدين القاوجي.

مدرس بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية
فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

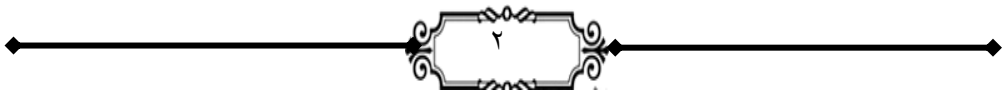
(العدد السابع والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م)

علمية - محكمة - ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X



الوحدة القرآنية في سورة الشعراء.

عبدالله محمد أديب محمد شمس الدين الفواقجي.

مدرس بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

البريد الإلكتروني: abdallahshamseldien.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

تفرد القرآن الكريم بمواثر لم يشاركه فيها كلام آخر، ومن هذه المواثر الوحدة القرآنية التي هي إعجاز من الإعجاز، وتتضح الوحدة القرآنية عند الاستبصار الكلي للسورة الكريمة لأن هذا سيجعلك ترى الموضوعات المتعددة المتباينة في ظاهرها تنتظم في سياق واحد وتتصوي تحت عنوان واحد يأخذ بمعاقدها كلها، لاسيما أن هذا التباين بين ما ظاهره موضوعات مختلفة يزول مع تدبر الآيات والتفكر في السياق الموجه لخطها الموضوعي، وقد جاءت سورة الشعراء لتكون مظهرا لهذه الوحدة؛ إذ احتوت السورة على خطاب محمدي اشتمل على الأمر بالجهر بالدعوة، وهذا اقتضى حشد مشاهد الأنبياء السابقين لتكون تسلية لرسولنا الكريم عما يلاقه من عنت القوم، وإشهادا عليهم ببيان العواقب إنجاء وإهلاكاً؛ فالشخصيات تتغير والأفعال تتكرر، كما اقتضى سياق السورة التي عنونت باسم الشعراء أن تتحدث عن القرآن الكريم؛ لتدل على تباين أسلوبه عن أسلوب الشعراء، وهذا اقتضى أيضا أن توضح السورة أن القرآن ليس من إفك الشياطين، ونتج عن الدراسة عدة نتائج منها أن السورة الكريمة بينت أن التناسق الجمالي مقصد من مقاصد البيان القرآني، وأوضحت نماذج الأقوام التي وردت في السورة الكريمة أن القرآن خطاب حي صالح لكل زمان ومكان؛ فنحن نجد في زماننا أمثال هؤلاء المنكرين الذين عاندوا الرسل الكرام قبل رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما تبين أن سورة الشعراء تعد من أوليات السور التي عنيت بسرد الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم؛ لذا نجد أن المستويات الخطابية قد

تنوعت بتنوع القوم المحكي قصتهم، وساعد الحوار هنا على تصعيد الحدث بما جعله خاضعا لجاذبية النهاية ، ومع أن السورة الكريمة قد حملت من الحمولة المعنوية ما تبين سرده في مشاهدها المتعاقبة، لكن هذه الحمولة يمكن اختزالها في ثلاث كلمات: "آية، العزيز، الرحيم" وذلك لأن هذه الثلاث تمثل المفتاح السردي لكل مشهد من مشاهد السورة؛ فكلمة آية تختزل تفاصيل كل مشهد، وكلمتا العزيز الرحيم تختزلان العاقبة لكل مشهد.

الكلمات المفتاحية: الوحدة القرآنية، الشعراء، الترابط النصي، الأزمنة الخطابية، حوارية السورة.

Qur'anic unity in Surah Ash-Shu'ara.

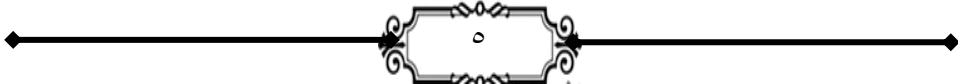
Abdullah Muhammad Adeb Muhammad Shams al-Din al-kawkgy.

**Lecturer, Department of Literature and Criticism,
Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University
Branch, Menoufia**

bEmail: abdallahshamseldien.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

The Holy Qur'an is unique in its advantages that no other word shares with it, and among these advantages is the Qur'anic unity, which is one of the miracles. The Qur'anic unity becomes clear when you fully examine the Holy Surah, because this will make you see the multiple apparently disparate topics organized into one context and subsumed under one title that takes in all their complexities. Especially since this discrepancy between topics is expected to disappear with contemplation of the verses and reflection on the context guiding their thematic line. Surah Ash-Shu'ara came to be a manifestation of this unity. As the surah contained a Muhammadan speech that included the command to speak out for the call, and this necessitated the mobilization of the scenes of the previous prophets to be an entertainment for our noble Messenger from the hardships of the people that he faced, and as a witness against them by explaining the consequences of salvation and destruction. Characters change and actions are repeated, just as the context of the surah titled "Poets" required it to talk about the Holy Qur'an. To demonstrate the difference in his style from that of the poets, this also required that the Surah make clear that the Qur'an is not one of the deceitful devils. The study resulted in several results, including that the Noble Surah showed that aesthetic harmony is one of the purposes of the Qur'anic statement, and the examples of peoples mentioned in the Noble Surah made it clear that the Qur'an is a living



speech that is valid for every time and place. We find in our time examples of those deniers who opposed the honorable messengers before our Messenger Muhammad, may God bless him and his family and grant them peace. It has also become clear that Surah Ash-Shu'ara is considered one of the first surahs that were concerned with narrating the dialogue that took place between the prophets and their people. Therefore, we find that the rhetorical levels varied according to the diversity of the people whose story was being told, and the dialogue here helped escalate the event, making it subject to the gravity of the end, and despite the fact that the noble surah carried the burden. The moral is what is revealed in its narration in its successive scenes, but this burden can be summed up in three words: "A sign, the Mighty, the Merciful," because these three represent the narrative key to each scene of the Surah. The word "verse" summarizes the details of every scene, and the two words "Almighty, Most Merciful" summarize the outcome of every scene.

Keywords: Quranic Unity, Poets, Textual Coherence, Rhetorical Tenses, Dialogue Of The Surah.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد..؛ فإن القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، وإنها لنعمة أية نعمة أن يشتغل المسلم بدراسة تتصل بكتاب الله الكريم الذي هو الماء النмир السائغ لمن يريد الرواء، وهو المعين الصافي لمن يريد الشفاء، وهو الطريق الراشد لمن يريد السماء، وهو كتاب الأمة لمن يروم لأعماله أن تهدي الأمة ويكشف الله بها الغمة، وهو الذكر لمن يريد أن يكون ذا ذكر، وهو كلام الله المعجز الذي أزال به كل ملغز، وهو منتهى الإجمال الذي جاءت له السنة بالتفصيل، والله أدعو أن تمتد كل دراسة لي إليه ولو بسبب من الأسباب، وإنني لأوقن اليقين كله أن كل دراسة تتخذ من عربيتنا الخالدة مادة لها فهي متصلة به وخدمة له إن اتصالا مباشرا أو غير مباشر؛ فالحق يكون بهدم الهدم كما يكون بإقامته سواء بسواء.

وإنه على كثرة الدراسات التي اتخذت من القرآن الكريم مادة لها إلا أنه لم تكتب الكلمة الفصل بعد؛ وكيف ذلك وقد قال تعالى في مفتتح سورة "آل عمران": "وما يعلم تأويله إلا الله"، ولولا هذا ما كتب شيء بعد الذي كتب من خرائد الأقدمين، ولعل الله تعالى يؤخر بعض مراده ليظل هذا القرآن جديدا على مرّ الأيام وتتابع الأزمان، وحتى يكون ذلك حافزا لكل من يصطفيه الله تعالى لدراسة كلامه العزيز.

وإن من إعجاز القرآن الكريم أن تجد الموضوعات المتعددة المتباينة في ظاهرها تنتظم في سورة واحدة وتنضوي تحت عنوان واحد يأخذ بمعاقدها كلها، لاسيما أن هذا التباين بين ما ظاهره موضوعات مختلفة يزول مع تدبر الآيات والتفكر في السياق الموجه لخطها الموضوعي، وأنه عند إمعان النظر في ترتيب

الموضوعات وأسلوب نظمها لتجد أن هذه الموضوعات لا تعدو إلا أن تكون موضوعات فرعية تنتظم تحت لواء موضوع رئيس، وأن أطرافها تأخذ بمجامع بعضها أخذًا يمتن علائقها ويسلم إلى مقصود السورة الأعظم الذي سيقف من أجله.

وهذا عينه ما وجدته في سورة الشعراء؛ فقد تعددت مشاهدتها القصصية وتتنوعت قضاياها الفرعية بما كان من كل قوم من الأقسام التي اضطلعت السورة الكريمة بسرد موقفهم من أنبيائهم، لكن المستبصر لآياتها وأطرافها ليجد الرباط المتين الذي يأخذ بمعاهد مشاهدتها بما يقدم النموذج المعجز في الوحدة القرآنية التي تجانست جزئياتها وتعالقت أطرافها - شأنها شأن سور القرآن الكريم - بما جعلني أرتأي - وأدعو الله أن أكون موفقًا فيما رأيت - أن أدرسها على أنها وحدة واحدة متجانسة اتصل أولها بآخرها اتصالاً عضوياً وموضوعياً جعل منها نظماً قرآنياً لا يصح دراسته جزئية جزئية.

وقد تتابعت مشاهد السورة الكريمة وفق السياق الموضوعي لها تتابعا يقتضيه العقل ويطلبه البيان الأمثل؛ فالسورة الكريمة افتتحت بمشهد خاطب فيه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بشأن أهل مكة وعدم إيمانهم وقد ذيل هذا المشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝١﴾ ، ثم قدمت السورة سبعة من قصص الأنبياء السابقين في سرد متتابع مذيل بالقول الإلهي ذاته الذي ذيل به المشهد المحمدي، ثم عاد الخطاب في السورة الكريمة إلى النبي محمد مشتملاً على وصف القرآن الكريم بأنه تنزيل من رب العالمين وأنه ليس من إفك الشياطين، ثم أمر من الله تعالى بالجهر بالدعوة، واختتمت السورة الكريمة بالحديث عن فئة من الشعراء الذين عنونت السورة باسمهم، وكل هذا في خطاب متصل لم يقطع في أي مشهد من مشاهدتها - كما ستبين الدراسة بإذن الله تعالى - وإن كانت في ظاهرها متعددة

القصص.

وقد تواتر أكثر المفسرين القدماء على منهج التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم دون النظر إلى الوحدة الكلية للسورة الكريمة في نفسها أو الوحدة القرآنية في القرآن الكريم كله، وإن وجدت إشارات إلى ذلك عند بعضهم أثناء تفسيره إلا أنها ظلت مجرد إشارات لم ترتق إلى الإحاطة الكاملة بالسورة الواحدة من طرفيها ومجامعها أو الإحاطة بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم، فقد انصبت جهودهم على التفسير اللغوي للمفردات وبيان المعنى العام لمقطع من الآيات الكريمات فقط دون الاهتمام بالمعنى الكلي للسورة مجتمعة وما اشتملت عليه من وحدة قرآنية فريدة، واكتفوا بالتعليق العام على السورة من حيث أسماؤها وفضلها، ثم جاء من بعد ذلك من المفسرين من اتجه نحو بيان الارتباط بين آيات السورة الواحدة وارتباط كل سورة بما يجاورها ومنهم الفيروز أبادي صاحب بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، والإمام البقاعي صاحب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور وعلى دربه سار الإمام الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير وغيرهم من متأخري المفسرين، لكن أعمالهم أيضا انحصرت في مباحث علم المناسبة وما يتصل به من بيان تعالق الآيات وتعالق السور، ولم تظهر في أعمالهم الوحدة القرآنية بالمعنى الأعم من علم المناسبة على ما سيتبين من خلال الدراسة بإذن الله تعالى.

ويعد ما قدمه قدامونا من تفسير لكتاب الله تعالى مجهودا وافرا وتراثا زاخرا وإضافة للمكتبة العربية والإنسانية، لكن واجب الوقت الآن يفرض على الباحثين أن ييمموا وجههم شطر تلك الدراسات التي تعنى بالاستبصار الكلي للسورة القرآنية حتى تتكامل الجهود مع قدامنا وعسى بذلك أن نكون قد وفينا بعض ما علينا من حقوق نحو كتاب الله تعالى.

اختيار الدراسة:

كلما قرأت سورة الشعراء طاف بخلدي سؤال مفاده: لماذا سميت هذه السورة بهذا الاسم؟ وبعد المضي في الدراسة كان السؤال الملح عندي هو: لماذا سردت السورة الكريمة قصص هؤلاء الأنبياء خاصة دون غيرهم؟ وعليه لماذا هذا الترتيب بينها مع أنه ترتيب يخالف الترتيب الزمني لهم؟ وبعد مزيد من الدراسة كان هذا السؤال: لماذا اقتصر كل قصة على ما تم حكيه هنا دون بقية تفاصيلها التي ذكرت في مواضع آخر؟ وما علاقة هذا القصص بالخطاب المحمدي الذي افتتحت به السورة الكريمة وفي الوقت ذاته انتهت به؟ ومن ثم جاءت هذه الدراسة محاولة للإجابة عن هذه الأسئلة.

سوابق الدراسة:

لا يستطيع العد أن يحصي الدراسات التي كان القرآن الكريم مادتها؛ إذ لا نعدم فرعا من فروع المعرفة على كثرتها إلا وامتدت دراساته إلى القرآن الكريم، مسترفة إياه للوصول إلى مبتغاه، وهذه ميزة لم يشاركه فيها كتاب آخر؛ فما عرفت البشرية اهتماما مثلما عرفت من الاهتمام بكتاب ربنا عز وجل، وهو الكتاب الأوحى الذي قامت حوله دراسات عديدة سواء بتناوله كله أم بتناول جزء منه، والنظرة الفاحصة للدراسات السابقة التي عنيت بدراسة سورة الشعراء تنبئ عن افتراق هذه الدراسة نوعا ما عن أيتها؛ وذلك راجع إلى النظرة الكلية التي تبينتها في استبصار السورة الكريمة والتدليل على ترابطها النصي لفظيا ومعنويا، بالإضافة إلى دراسة الأزمنة الخطابية في السورة ودلالات تداخلها، ثم دراسة حوارية السورة وتعالقها مع مقصدها من حيث إبلاغ الدعوة إلى أهل مكة، ثم الانتهاء بدراسة دلالة عنوانها وارتباطه بكل ما تقدم.

وكان الحرص على تحقيق هذه النظرة حافزا على الإفادة من عدة دراسات مجيدة؛ اختص أصحابها سورة الشعراء بالدراسة، أو كانت دراسات في القرآن الكريم كله وبخاصة مما يتماس مع رؤية الدراسة؛ ومن النوع الأول الدراسة التي

جاءت بعنوان: سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة إعداد/ فوزية المطيري، إشراف الدكتور: محمد بن سعد الدبل، وقد عالجت هذه الرسالة السورة الكريمة معالجة بلاغية من حيث تنوع التعبير بالجمل الاسمية والفعلية عن المعنى، وأسلوب القصر والأسلوب الحكيم والانتقائات والتغليب والفصل والوصل والإيجاز والإطناب وغير ذلك من أبواب البلاغة، وأهم ما أقدته منها تمثل في معالجتها للقصة القرآنية في السورة الكريمة ولو أنها كانت معالجات لكل قصة منفردة ولم تربط الدراسة بينها.

ومنه الدراسة التي جاءت بعنوان: تقنيات الزمن في قصص سورة الشعراء للدكتور: "تومان غازي حسين"، ولو أن صاحبها قصر قصص السورة على تسليمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقط دون أن يربط ذلك بخطاب القرآن لأهل مكة، كما أنها درست التقنيات الزمنية في كل قصة نبوية منفصلة عن أختها دون الربط بينها جميعا، لكن هذا لا يقدح في تمثيلها للخط البياني الزمني لكل قصة من قصص السورة الكريمة بكل دقة.

ومن النوع الثاني الدراسة التي عنونت بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية للدكتور "رياض عميراوي"، وقد عالجت هذه الدراسة ماهية التفسير الموضوعي وألوانه من حيث تتبع اللفظة القرآنية، أو بيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، أو التفسير الموضوعي للقرآن متكاملًا، كما أنها قامت ببيان ماهية الوحدة الموضوعية ومدى أهميتها للسورة القرآنية، وهي دراسة تعد عالية على دراسة الدكتور "مصطفى مسلم" والتي عنوانها: مباحث في التفسير الموضوعي، الذي استودعها رؤيته في المنهج العلمي للدراسة الموضوعية وأتى فيها بكل ما جاء في دراسة الدكتور "رياض" بإفاضة ممنهجة وتطبيق عملي على سورة "الكهف".

ومنه أيضا الدراسة التي جاءت بعنوان: "دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها - وحجبتها - ونماذج من تطبيقاتها) إعداد الدكتور/ محمد ولد سيدي عبد القادر، والتي عنيت ببيان دلالة التركيب فأفدت منها إفادات

مجيدة ساعدتني في الربط بين سورة الشعراء وبقية سور القرآن الكريم، وكان هذا معينا على فهم نظام القصة في القرآن الكريم، مما ساعد على بيان خصوصية كل موضع مع مقصود الخطاب في السورة، كما أن دلالة التركيب هذه تنفي شبهة التكرار التي يلوكوها من لا يحسنون العربية ولا يحسنون تدبر القرآن الكريم.

ومنه الدراسة التي جاءت بعنوان: "الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز" إعداد الباحثة "دعاء محمد رياض أبو زيد"، وقد قامت الباحثة بتتبع المصطلحات التي تكافئ "الوحدة الموضوعية" عند أصحابها، ثم تفصيل الحديث عن أسباب اهتمام الدكتور دراز بقضية الوحدة الموضوعية داخل السورة المتعددة القضايا، وبيان انفراد كتاب الله عن غيره من الكتب في طريقة جمعه، ثم الاستقرار على أن الوحدة الموضوعية نشأة إلهية، ثم قامت الباحثة بمناقشة أسباب إنكار العلماء للوحدة الموضوعية، والرد عليهم بالأدلة من خلال رؤية الدكتور دراز.

منهج الدراسة:

إن الدراسة التي مادتها سورة من القرآن الكريم لها منهج خاص يأخذ خطواته أول ما يأخذ من كتب التفسير حتى تتضح المعاني الأولية للآيات الكريمات؛ لذا فإنني بدأت بكتب التفسير المتنوعة وبخاصة تفسير "التحرير والتنوير" للإمام "الطاهر بن عاشور" وتفسير "روح المعاني" للإمام "الألوسي" ودراسة "النبأ العظيم" للإمام "محمد عبدالله دراز"، ثم اعتمدت المنهج الفني طريقا للتناول الأدبي بهدف الوصول إلى الدوال اللفظية والمعنوية التي تحقق رؤية البحث، ودراسة الأزمنة الخطابية للسورة، وكذلك لدراسة الحوارية في السورة الكريمة، وانتهاء بدراسة العنوان ودلالاته الفنية.

مسار الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة جاء فيها سبب اختياري لدراسة سورة الشعراء، وعرض للدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع، مع بيان موجز لكل دراسة، وشرح للمنهج الذي سرت عليه في دراستي، ثم توطئة صدرتها بالحديث عن الوحدة القرآنية، وأربعة مباحث جاء الأول منهما بعنوان : **الترابط النصي بجزئيه؛ دوال السبك اللفظي والحبك المعنوي** وتحدثت فيهما عن الآيات الدوال التي مثلت رباطا لفظيا ومعنويا بين أجزاء السورة، وجاء المبحث الثاني بعنوان: **أزمة الخطاب في السورة**، وتحدثت فيه الأزمنة الثلاثة التي قام عليها الخطاب في السورة الكريمة، وجاء المبحث الثالث بعنوان: **الحوارية في السورة الكريمة** وتحدثت فيه عن أنواع الحوار التي قامت عليها قصص الأنبياء في السورة الكريمة بالإضافة إلى الحوار المحمدي الذي هيمن على السورة من أولها إلى آخرها، وأنهيت المباحث بمبحث: **التناسب** وتكون من أربعة أجزاء؛ أولها نهض بدراسة **تعالق العنوان مع موضوع السورة** من حيث علاقة الشعراء بالقرآن الكريم وعلاقة قصص الأنبياء بالخطاب المكي، وثانيها نهض بدراسة **تناسب السورة الكريمة في نفسها من حيث ترابط أولها بآخرها**، وثالثها **اضطلع بدراسة تناسب السورة في موضعها من حيث ارتباطها بما قبلها وما بعدها** مصحفا ونزوليا، ورابعها **عقد الصلة بين سورة الشعراء وسورة الفاتحة**، ثم **خاتمة** وبها أهم نتائج البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

وبعد.. فالله أسأل أن يجعل هذا العمل سهمة في خدمة كتابه العزيز وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وجميع المسلمين.

توطئة:

لعل من أفضل ما قيل في مصطلح: الوحدة هو ما أورده الإمام "الزركشي" في إلماحه إلى تعدد تعاريفها ومحدداتها: "أن الوحدة تطلق ويراد بها النوعية ومنه قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنما نحن وبنو عبد المطلب شيء واحد" وتطلق ويراد بها العدد نحو: "إنما زيد رجل واحد"^(١)، والمعنى الأول يليق بمادة الدراسة من حيث دلالتها هذه؛ إذ حينما تنظمها في تركيب: "الوحدة القرآنية" تكون قد أردنا جنسا خاصا من الاتحاد وهو الاتحاد في البناء القرآني الذي يغاير الاتحاد في أي أسلوب آخر.

لماذا الوحدة القرآنية؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نعلم أن المصطلحات التي صكها أصحاب التفاسير في تفاسيرهم أو جاء بها أصحاب الدراسات التي عنيت بمفهوم الاتصال الموضوعي والعضوي للسورة القرآنية متعددة؛ وكثرت بتعدد تعاريفها، ولعل من أهم هذه التعاريف ما قدمه الإمام "محمد عبدالله دراز" في حديثه عن الكثرة والوحدة إذ يقول: "هذا الذي حدثناك عن عظمة الثروة المعنوية في أسلوب القرآن الكريم على وجازة لفظه يضاف إليه أمر آخر هو زينة تلك الثروة وجمالها، ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتتنظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"^(٢)، فقد بين رحمه الله تعالى حقيقة الوحدة المحكمة من حيث تألفها من جزئيات فرعية متضامة متناسبة، وقد عرفها الدكتور "محمد محمود حجازي" في رسالته "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ج ٢ ص ٤٣٤.

(٢) النبأ العظيم، ص ١٨٠.

إذ يقول: "وأما الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم فالمراد منها: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن الكريم في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبخته لتحقيق الهدف وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم"^(١)، وأما جاحظ القرن العشرين "مصطفى صادق الرافعي" فقد أطلق عليها "روح التركيب" إذ يقول: "وهذه الروح التي أومأنا إليها، (روح التركيب)، لم تعرف قط في كلام عربي غير القرآن، وبها انفرد نظمه وخرج مما يطيقه الناس...، ولولا تلك الروح لخرج أجزاء متفاوتة، على مقدار ما بين هذه المعاني ومواقعها في النفوس"^(٢)، وهذا اصطلاح نابع من أسلوب الرافعي الأدبي لكنه أراه غير مناسب لوصف القرآن الذي هو كلام الله تعالى، فتشخيص التركيب لا يليق بمقام كلام الله عز وجل، كما أنه غير معبر عن المعنى الدقيق للوحدة الموضوعية المقصودة؛ إذ خلا من لفظة الاتحاد التي هي مقصود الحديث هنا.

وقد أوردت الباحثة "دعاء محمد رياض أبو زيد" في دراستها الموسومة "بالوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد عبدالله دراز" عدة مصطلحات عبر بها أصحابها عن الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم؛ "فهي الوحدة البنائية عند طه جابر العلواني، وهي الوحدة الكمية عند مالك بن نبي، وهي روح التركيب عند الرافعي، وهي الوحدة القرآنية عند سعيد حوى"^(٣)، وهذا المصطلح الأخير هو ما اعتمده عنواننا لدراستي وعنه

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، مطبعة المدني القاهرة، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ص ٣٣ وما تليها.

(٢) إجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ص ٢٠١.

(٣) ينظر: الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور محمد

يقول صاحبه: "وهذا المصنف التفسيري غني عن القول بأن فيه من الجديد الكثير، فإنه قد تفرد بأشياء لم يسبق إليها، خاصة مسألة تقديم أول نظرية متكاملة عن الوحدة القرآنية في القرآن الكريم"^(١)، فقد رأيت أن هذا المصطلح يؤدي معنى التكامل - المراد هنا - منسوباً إلى القرآن وهذا مزيد اختصاص له، ويكون بهذا مصطلحاً خاصاً بالقرآن الكريم لا يطلق على غيره، على عكس مصطلح "الوحدة الموضوعية" أو غيره من المصطلحات التي قد تطلق على أي نص متى تحقق فيه ضوابطها.

وينماز هذا المصطلح من وجود لفظة: "القرآنية" التي تؤدي وظيفة النعت الذي يضيف إلى معنوته: "الوحدة" على معناها النوعي كل خصائص القرآن الكريم من حيث الإعجاز والتقديس وإحكام السبك وتلاحم المعنى ونغمية الجرس وغير ذلك من خصائص القرآن الكريم.

ويمكن التعريف بالوحدة القرآنية في ضوء ما تقدم بأنها تعني الارتباط الموضوعي والعضوي الذي يجمع بين المحاور الفرعية التي بنيت عليها السورة الكريمة؛ وذلك من حيث ترابط آياتها لفظياً ومعنوياً ونغمياً، وبيان الدوال اللفظية والمعنوية التي قامت عليها السورة، وترابط الخطاب فيها مع موضوعها الرئيس، وتعالق مقدماتها بخاتماتها لتكوّن كلاً واحداً، وانضواء كل هذا تحت عنوان جامع يأخذ بمعاقدها؛ فالسورة الواحدة وإن تعددت أزمنة نزولها وأماكنها لها رباط يجمع بينها وهذا الرباط هو مظهر الوحدة القرآنية في السورة، كما أن هذه الوحدة القرآنية تمتد لتوضح صلة السورة مع مجاورتيها مصحفياً ونزولياً، كما تمتد لتبين

عبدالله دراز، دعاء محمد رياض أبو زيد، مجلة كلية التربية - جامعة عين شمس، العدد الرابع والعشرون (الجزء الثاني) ٢٠١١م، ص ١٢٢ وما بعدها.

(١) تفسير الأساس، سعيد حوى، دار السالم - القاهرة، ط السادسة ١٤٢٤ هـ، ج ١ ص ٦.

ارتباطها بأَم الكتاب و فاتحة القرآن الكريم.

ويتضح مما سبق الفرق بين الوحدة القرآنية بمعناها الفائت وعلم المناسبة الذي اقتصر تعريفه عند القدماء على مجرد ارتباط الآيات ببعضها معنويا يقول صاحب البرهان: "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"^(١)، بل إننا نجد عند القدماء من لا يشترط ذلك: "قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصاب عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه"^(٢)، وبهذا نرى أن علم المناسبة اقتصر عندهم على مجرد الربط بين الآيات من حيث المعنى، وعلى هذا تكون الوحدة القرآنية أعم وأشمل من مصطلح علم المناسبة؛ إذ هي تبحث فيما هو أعمق من ذلك وأدق معنى وأشمل ارتباطا لتقدم المقصود الكلي للسورة الكريمة وتظهر الرباط بين موضوعاتها وقضاياها التي تباينت وتغايرت في ظاهرها، وبيان دوالها وصلتها في نفسها أو مع مجاورتيها أو مع فاتحة الكتاب العزيز.

ولأهمية هذا الوحدة في تناول كتاب ربنا العزيز غدا من الواجب علينا وقد كثرت التفاسير القرآنية الموضوعية أن نلقت إلى مثل هذه التفاسير التي تعنى بإظهار الوحدة القرآنية والعمل على ربط الموضوعات الفرعية لتتضح الموضوعات الرئيسية، فإن هذا أعم نفعا وأكثر خدمة لكتاب ربنا عز وجل، وعن

(١) البرهان ج ١ ص ٣٧.

(٢) البرهان ج ١ ص ٣٧.

هذا يقول الدكتور "محمد محمود حجازي": "إن من يغرق النظر في الآيات على أنها منفصلة تماما عن غيرها ولم ينظر نظرة إجمالية عامة في السورة، وفي هدفها العام لم على يحصل له إلا فهم ظواهر الألفاظ بحسب الوضع اللغوي فقط، لا بحسب المقصود الأعلى للمتكلم"^(١)، ثم تطور في شرح المصطلح إلى أن قال: "السورة الواحدة وحدة كاملة لها هدف واحد قد يستتبع أغراضا مختلفة غالبا، والسورة الواحدة لها طابع خاص في اللفظ والسياق والفواصل وختام الآيات ولها في الوصول إلى هدفها طرق خاصة، وكل موضوع ذكر في السورة سواء كان قصة أم غيرها فهو مناسب كل المناسبة للسورة ولا بد منه"^(٢)، وهو كلام نفيس استخلصه صاحبه من أقوال من سبقه، وبهذا تتفتح أمامنا الآفاق القرآنية ونخلص إلى ما وراء المعاني الأولية لنصل إلى رؤية أعمق ومعنى أشمل.

ويؤيد هذه الرؤية ما رآه الإمام "محمد عبدالله دراز" في "النبأ العظيم" إذ يقول: "السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات الموضوعية بين جزء جزء منه، وهي تلك الصلات الموثقة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون له معوانا على السير في تلك التفاصيل عن بينة"^(٣)، وهو رأي استنبطه أيضا من كلام الأئمة السابقين ولخصه بقوله: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي ص ٤٨.

(٢) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ص ٥٢ وما تليها.

(٣) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د محمد عبدالله دراز، تخريج عبدالحميد الدخاني،

دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م، ص ١٩٩.

الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"^(١)، وأطبقت على ذلك القاعدة الخامسة من قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل ونصها: "مهما أمكن جمع التفسيرات الجزئية في معنى كليّ فهو الأولى بأن يكون منهج المتدبر لكتاب الله"^(٢)، وأرشدت إلى المضي في تبني هذه النظرة الكلية التي هي أولى من النظرات الجزئية، وكان كل ما تقدم من آراء تعزيزاً لرؤيتي التي قامت عليها دراستي، وزادتني قناعة في المضي.

(١) النبا العظيم، ص ١٩٩.

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، ص ٢٦.

المبحث الأول: الترابط النصي:

انتظمت سورة الشعراء في هندستها اللفظية على ثلاثة مقاطع متضامة تمثل وحدة واحدة متجانسة تظهر الوحدة القرآنية للسورة الكريمة في أتم تلاحمها وأنصع بيانها؛ فيحكي المقطع الأول منها عرض قضية الإيمان على مشركي مكة، ويمثل المقطع الثاني منها الإشهاد عليهم بعرض مشاهد الأنبياء السابقين مع أقوامهم وبيان إنجاء الله تعالى لمؤمنهم، وجزائه تعالى لمعاندهم، ويعود المقطع الثالث منها إلى الحديث عن دعوة نبينا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وموقف أهل مكة منه، ويبوح بهذه الرؤية **التناغم النصي** الذي يظهر في تكررات السورة اللفظية والأسلوبية والنغمية، **والحبك المعنوي** الكلي للسورة الكريمة، **وامتداد حواريتها** التي اشتملت السورة من أطرافها، ثم **عنوانها** الذي أخذ بمجامع هذه الثلاث السابقة وغدا دالة اختزنت جزئيات السورة الكريمة.

وإن المستبصر لكلية السورة لا لجزئياتها ليجد ثمة أدلة عديدة على هذه الرؤية، منها الأدلة اللفظية والأدلة المعنوية مما يوحي بعمومية نفع الاستبصار الكلي للسورة الكريمة عنه من استبصارها جزئية جزئية، إذ يجد الناظر أن المكررات اللفظية والتركيبية التي انتظمت السورة ومثلت رباطا بين أطرافها جعلت السورة وحدة فريدة في تركيبها المعنوي وانسجامها النغمي، وهذه المكررات أطلق عليها الأستاذ الدكتور "محمود توفيق": "لوازم معاهد المعاني الكلية"^(١)، كما أطلق عليها الأستاذ الدكتور "كاظم الطواهري" اسم: "الدوال جمع دالة"^(٢)، وأرى أن المصطلح الثاني أعم في المعنى والوظيفة؛ "الدوال أبنية أسلوبية تنتشر بنظام

(١) العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود

توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م، ص ٤٠.

(٢) الدوال وأثرها في إحكام بناء النص القرآني وتكامله، كاظم الطواهري، حولية كلية

الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات، العدد الأول ١٤٤٣ هـ ٢٠٢١ م، ص ٨.

دقيق مقصود في أرجاء النص تؤدي وظائف عدة في توجيه المتلقي لإدراك خط سير الأفكار في تسلسلها المنطقي المؤدي لتحقيق تصور متكامل لبناء النص والهدف الذي يرمي إليه^(١)، وهي هنا في سورة "الشعراء" قد آتت أكلها على أكمل وجه؛ إذ عملت على تلاحم أطراف السورة وأسهمت في تحقيق المعنى الكلي المرتبط بمقصود السورة.

ويقول الدكتور "محمود توفيق" عن هذه اللوازم المتكررة: "يكون في بعض سور القرآن الكريم إعادة بعض الجمل أو الأنماط التركيبية الجزئية على نهج متميز لا يكون في غيرها، ومثل هذا فيه دلالة على اعتناء السورة بما يتضمنه هذا العنصر التركيبيّ المصرف أو المكرر فيها، لما له من مزيد اعتلاقٍ بمضمونها وسياقها الكليّ ومقصودها الأعظم"^(٢)، وهكذا يتضح أن هذه الدوال لها دور مهم في تمثين العلائق الجزئية وانتظامها في نمط الدلالة الكلية للسورة، وهذا يرشح رؤية البحث التي تنظر إلى السورة بوصفها وحدة واحدة ذات أزمنا خطابية متعددة تنهض بعرض قضية الإيمان على قريش بدءاً من الإعلام بالإسلام وانتهاءً بالمصير المنتظر لكل فريق، وإن أي تقسيم لها أو فصل بين وحداتها يفقدها هذا الترابط النصي الذي هي عليه، وفيما يأتي تفصيل لنمطي الترابط النصي:

أولاً: دوال السبك اللفظي:

انمازت الآيات الكريمات في سورة الشعراء من نغمية جرسها، وائتلاف أصواتها، وهذا يرجع أول ما يرجع إلى دوالها اللفظية المتكررة التي نهضت بهذا الدور، ومن هذه الدوال الآيتان: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٨) وَإِنَّ رَبَّكَ

(١) نفسه ص ١٠.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص ١٢٢.

لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ اللتان تمثلان دالة من دوال التماسك النصي لمشاهد الأنبياء وربطها بمشهد سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - مع قومه؛ إذ ختم بها المشهد الأول المفتتح للسورة الكريمة والمخبر عن إنكار المشركين لدعوة رسولنا الكريم، ثم ختم بها كل خبر من أخبار الأنبياء السابقين سادتي: "موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب" عليهم السلام، مما يشرح أن هذه القصص ما جاءت هنا في معرض إيلاخ الدعوة لقريش إلا تأكيداً على رسم الصورة الماضية متضمنة عرض القضية ورد المعروض عليهم، مشفوعاً ذلك كله بالنصّ على الإنجاء لمن آمن وبيان العقاب الذي حل بالمنكر منهم، حتى يكون ذلك بشرى لمن يؤمن من قريش وإنذاراً وتنبها لمن يعاند منهم، فالإنجاء سيكون لمن آمن كما حدث للمؤمنين قبلهم، والعاقبة الوخيمة ستكون لمن عاند مثلما نالت تلك العاقبة من أنكر قبلهم، ويقول صاحب التحرير متحدثاً عن سبب نزول سورة الشعراء الكريمة: "وأحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق، فافتتحت بتسليية النبي (صلى الله عليه وسلم) وتثبيتها له ورباطة لجأشه بأن ما يلاقيه من قومه هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم مثل موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٠، ١٩١) تسجيلاً عليهم بأن آيات الوجدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون وأن الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنه رحيم برسله فناصرهم على أعدائهم" (١).

(١) التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس

كاف الخطاب:

كما أن كاف الخطاب في قوله تعالى: "ريك" هي خطاب واحد متكرر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهو المنوط بالحكي؛ لذا فإن استبصار هذه اللفظة في موقعها المتكرر مع كل حكاية يرشدنا إلى ترابط الحكايات كلها مع الحكاية الأولى التي افتتحت بها السورة الكريمة، وبهذا تكون هاتان الآيتان رباطا بين خطاب قريش وخطاب الأمم السابقة، كما أن هاتين الآيتين فريدة من الفرائد التي اختصت بها سورة الشعراء؛ إذ لم يرد هذا التركيب في غيرها من سور القرآن الكريم مما يدل على قيمة هذه الدالة اللفظية في مواضعها ووظيفتها من حيث الربط اللفظي والمعنوي في السورة الكريمة.

تكرار الأمر بالتقوى:

كما تمثل الآيتان: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَنْتُمُْونَ ﴿١٠٦﴾﴾ المتكررتان خمس مرات مع تغيير اسم القوم واسم النبي في كل مرة وباستثناء كلمة "أخوهم" من المرة الخامسة؛ دالة تماسك نصي بين مشاهد الأنبياء في هذه السورة، ومع أن المرسل لكل قوم هو رسول واحد في كل مشهد مفتتح بهذه الآية إلا أن الآية عبرت بكلمة "المرسلين" جمعا، وهذا تأكيد لمقصد السورة الكريمة وهو أن رسالة الله على اختلاف أزمانها وأماكنها هي رسالة واحدة، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وأن الرسل على تعاقب أزمانهم دعوتهم واحدة وأن المكذبين لهم تشابهت قلوبهم في الإنكار والتكذيب، وعليه فإن المكذب للواحد مكذب للكل، ومكذب لأصل القضية وهي قضية الإيمان بالله؛ ولهذا امتدح الله تعالى أمة حبيبه محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- بأنهم يؤمنون بكل الأنبياء فيقول تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ بَيْنَ يَدَيْ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وكذا مما يدل على اتحاد دعوة

الأنبياء - وهو كثير في القرآن الكريم - قوله تعالى في سورة إبراهيم بعد ذكر الأمم إجمالاً: ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفَى اللَّهِ شَكُّ فَأَطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ﴾ (إبراهيم: ١٠)؛ فالنداء واحد من مجموع الرسل "قالت لهم رسولهم" والرد المكذب واحد من جميع معاندي الأمم "قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا".

وجاء تكرار الآية الكريمة: "فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا" ثماني مرات مع مشاهد خمسة أنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ليؤكد اتحاد أمر الأنبياء جميعاً لأقوامهم بذات الأمرين: التقوى والطاعة، وهذا الأمر يمثل نوعاً من الأساس الحواري الذي ينبنى عليه خطاب الأنبياء لأقوامهم.

عدم سؤال الأجر:

ومن هذه الدوال اللفظية تكرار الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خمس مرات، لتؤكد اتحاد موقف الأنبياء من أقوامهم حين لا يسألونهم أجراً على هدايتهم، وتلك القولة الكريمة تطابقت مع قولة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (سبأ ٤٧) مما يمتن العلاقة أيضاً بين خطاب الأنبياء السابقين وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

تكرار الألفاظ:

ومن التكرار النصي الألفاظ المفردة في كل مشهد من مشاهد السورة الكريمة؛ ففعل القول تكرر خمسين مرة، والفعل "كذب" تكرر على مدار السورة عشر مرات عبر المشاهد المتتابعة، والظرف "إذ" المقترن بالفعل الماضي "قال" تكرر ست مرات، وكل هذا يوثق العلاقة بين الآيات ويظهر حوارية السورة الكريمة، كما أنه يزيد من التماسك المنشود.

اتفاق الفواصل:

ومما يرشح التماسك النصي أيضا اتفاق نهايات الآيات "الفواصل"، وإن كان هذا سمة عامة في سور القرآن الكريم إلا أنه هنا في هذه السورة له مذاق خاص؛ إذ جاءت الفاصلة على حرف النون في أربع وتسعين ومائة آية بنسبة ٨٥.٤% من آيات السورة الكريمة، وجاءت على حرف الميم في ثلاثين آية أي بنسبة ١٣.٣%، وجاءت على حرف اللام في ثلاث آيات أي بنسبة ١.٣%، وهذا يوضح مدى الترابط اللفظي والنغمي للآيات الكريمة.

العودة إلى الحاضر:

ومن التماسك النصي في سورة الشعراء قراءة الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلا يَنْفُونَ ﴿١١﴾﴾، "فقد قرأ عبدالله بن مسلم بن يسار وشفيق بن سلمة وحماد ابن سلمة وأبو قلابة بتاء الخطاب، وقراءة الخطاب على طريقة الالتفات إليهم وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم وإجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم وإلقائه في مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس فلا يضر كونهم غيبا حقيقة في وقت المناجاة وفيه مزيد حث على التقوى لمن تدبر وتأمل"^(١)، فالخطاب هنا يكون موجها لكفار قريش في أثناء ذكر مشهد سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، وهذا الانتقال من حكاية سيدنا موسى عليه السلام إلى خطاب كفار قريش لما يدل على التماسك الشديد -لفظا ومعنى- بين آيات مشهد سيدنا موسى وآيات مشهد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع قومه.

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١٩ ص ٦٤.

رب العالمين:

ومن الترابط اللفظي بين آيات السورة الكريمة تركيب "رب العالمين" الذي تكرر إحدى عشرة مرة، فقد جاء على لسان: "موسى، وفرعون، والسحرة، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ووصف للقرآن الكريم"، مما يدل على اتحاد سياق السورة الكريمة واتحاد دعوة الأنبياء الموجهة لرب العالمين.

ثانيا: الحبك المعنوي:

يأتي التكامل العضوي بين جزئيات السورة الكريمة ليقدم الحبك المعنوي في أتم صورته وأوضح مقاصده، ومن هذا التكامل العضوي هنا ما تقدمه دلالة التركيب^(١) بين الآيات هنا والآيات في سورتي الصافات والقمر من حيث تكرار آيتي التذييل المعقبتان لكل مشهد وهما هنا: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩ وقد ذكرنا ابتداء قبل ذكر مشاهد الأنبياء السابقين ثم عقب بها كل مشهد، لكن الآية المعقبة في الصافات: "إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ" والآية المعقبة في سورة القمر "وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ لَمْ تَذْكُرَا" إلا بعد ذكر مشهد سيدنا نوح عليه السلام، وهذا يفيد بأن مشاهد الأنبياء السابقين هنا ليست هي الفاتحة لقصص الأنبياء كما هو الحال في سورتي الصافات والقمر، بل إن مشهد سيدنا محمد مع قومه هو الفاتح هنا لقصص الأنبياء وليس

(١) ويقصد بدلالة التركيب هنا: "ضم نص إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرا زائدا على ذلك اللفظ بمفرده" ينظر في ذلك: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ج ١ ص ٢٦٧، وقد قدمت دراسة الدكتور "محمد ولد سيدي عبد القادر" التي بعنوان: دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها - وحجيتها - ونماذج من تطبيقاتها) مجموعة تعاريف لدلالة التركيب وبيان أهميتها في فهم النص القرآني، ينظر ص ١٦٨ وما بعدها من هذه الدراسة.

مشهد سيدنا موسى، مما يدل على الترابط العضوي بين مشهد سيدنا محمد والمشاهد اللاحقة له في السورة الكريمة، ومما يرشح ذلك أيضا الخطاب الإلهي في خواتيم السورة: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" فالخطاب هنا بالاسمين الكريمين ذاتهما اللذين استعملهما القرآن الكريم في سرد مشاهد الأنبياء السابقين عليهم السلام، مما يعني أن هذه المشاهد المتلاحقة هي مشاهد متصلة المعنى لا انفصام بينها.

مقتضى العزيز الرحيم:

كما يتبين أن السورة التي تقدم: عرض قضية الإيمان على الأمم تقتضي أن يكون تبعا لذلك فريقان؛ فريق يؤمن وآخر يكذب وينكر، وهذا يقتضي اقتران الاسمين الكريمين هنا؛ فالله تعالى يتجلى باسمه "العزيز" بالعاقبة الوخيمة علي المكذبين جزاء رفضهم دعوة الرسول، ويتجلى باسمه "الرحيم" بالرحمة والإنجاء على المؤمنين ثوبا على إيمانهم، وهذا ما توضحه الآية الكريمة من سورة إبراهيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ فَوَّهِءَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤﴾ من انقسام الأقسام تجاه دعوة أنبيائهم.

الخواتيم والمضمون:

وإن هذه الآية الكريمة: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ" لما يمتن العلاقة بين خواتيم السورة ومضمونها؛ فموقعها عقيب مشاهد الأنبياء السابقين وختمها بالاسمين الكريمين "العزيز الرحيم" مخاطبا بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم له دلالاته: "أي الذي رأيت مظاهر عزته ورحمته فيما مضى، بحيث يورثك العرفان الكامل، والتوكل الأعلى، كيف وهو الذي يراك في أحوالك كلها، ويراك في أعلى مقامات عبوديتك مصليا في الليل منفردا، وإماما في الليل والنهار. وإذن فالصلة بين آيات الخاتمة وسياق السورة واضح في كل آية من آيات

الخاتمة"^(١)، وهذا كله يزيد من الحبك المعنوي للسورة الكريمة وتعالق أطرافها بما يقدم الوحدة القرآنية في أتم صورها.

وهذا الجمع بين الاسمين العظيمين يحيطنا بالروح المهيمنة على السرد في السورة الكريمة التي تبين انقسام الناس تجاه عرض قضية الإيمان وبيان جزاء كل قسم، ويدل على ذلك ما أورده العلامة الدكتور "محمود توفيق" منبها لذكر أسماء الله الحسنی في السورة فيقول: "ولتوارد أسماء الله الحسنی في سورة ما على نحو خاص مزيد عناية بملاحظة وتدبر اعتلاق معانيها بسياق ومقصود السورة التي هي فيها، فالله - عز وجل - لا يقيم اسماً من أسمائه الحسنی إلا في سياقه ليدل على ما يترادف من فيوض المعاني على ذلك السياق"^(٢)، ثم يتحدث عن صلة الاقتران بين الاسمين العظيمين "العزیز الرحيم" إذ يقول: "ومثل هذا الاستبصار رافد من روافد فقه الروح المهيمن على بيان السورة، فإذا ما لاحظنا معه أمراً آخر هو اقتران بعض الأسماء مع بعض على نحو فريد في بعض السور كان ذلك أيضاً معينا على معرفة معالم المقصود الأعظم؛ فاسمه (العزیز الرحيم) لم يأت على ذلك النحو كمثل ما جاء في سورة (الشعراء) بل لم يرد فيها اسمه (العزیز) أو اسمه (الرحيم) إلا مقترنين مع تقديم (العزیز) على (الرحيم) على الرغم من أن الذي هو شائع في القرآن الكريم اقتران اسمه (العزیز) باسمه (الحكيم)، ومن الجدير بالملاحظة أن كلمات الأسرة اللغوية إذا ما تكاثرت تواردها في سورة ما كان في هذا آية على هيمنة ما تلتقى عليه تلك الكلمات دلاليا على موضوع السورة، ذلك أن حشد مفردات هذه الأسرة اللغوية وتجييشها في سورة واحدة لن يكون عملاً عقيماً أو عابثاً، فهو تنزيل من عزيز حكيم عليم

(١) الأساس في التفسير ، ج٧ ص ٣٩٦٠.

(٢) العزف على أنوار الذكر ص ١٢٦.

حميد^(١)، وهكذا يتبين اقتضاء الدلالة المعنوية هنا لذكر الاسمين العظيمين متضامين عقيب كل مشهد نبوي؛ ففي طيات وظائفهما يظهر تجلي الله تعالى الأكبر على الأمم، وفي الوقت ذاته قدما رابطا من الروابط العضوية لمحتوى السورة الكريمة.

دلالة التركيب:

ومن دلالة التركيب التي تمتن العلاقة بين مشاهد الأنبياء في هذه السورة الكريمة ومشهد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى في هذه المشاهد: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتَ﴾ (١٦٦) وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُوتَ﴾ (١٦٤) وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا نَنْقُوتَ﴾ (١٤٣) وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نَنْقُوتَ﴾ (١٦١)، وكل هذه الآيات تفيد أن كل رسول كان يبعث من قومه وإلى قومه الذين يعيش بين ظهرائهم، وكذلك نبينا محمد بعث إلى قومه الذين كان يعيش بين ظهرائهم كما بين ذلك قوله تعالى من سورة "التوبة": "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" والجمع بين الآيات هنا يفيد اشتراك نبينا مع إخوته من الأنبياء الذين سبقوه في خصوصية الابتعاث إلى قومه خاصة، ويزيد عليهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في عمومية الابتعاث إلى العالمين جميعا كما يبين ذلك قوله تعالى في سورة "سبا": ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨).

تكرار المضمون:

ومن التماسك المعنوي هنا تكرار بعض المعاني والألفاظ في مواضع محددة دون المواضع الأخرى؛ فقوله تعالى: ﴿فَأَنْقُتُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ تكرار ثمانين مرات في هذه السورة من أصل عشر مرات في القرآن الكريم كله، فتكرر مرتين

(١) العزف على أنوار الذكر، ص ١٢٧.

مع مشهد سيدنا نوح مع قومه، ومع مشهد سيدنا هود مع قومه، ومع مشهد سيدنا صالح مع قومه، بينما جاء مرة مفردة مع مشهدي: لوط وشعيب عليهما السلام؛ إذ إن إفساد قوم نوح وعاد وشمود كان أكثر من إفساد قوم لوط وأصحاب الأيكة، فتناسب التكرار هنا مع المعنى المساق له.

ومن التماسك المعنوي في السورة الكريمة قوله تعالى: "إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" الذي جاء متكررا خمس مرات مع أنبياء الله تعالى: "نوح وهود وصالح ولوط وشعيب" من أصل ست مرات في القرآن الكريم كله، فأنبياء الله تعالى هنا وصفوا بلقب "رسول أمين" ومن المعلوم أن هذا هو الوصف الذي أطلق على سيدنا محمد في مكة إذ كان يلقب "بالصادق الأمين"، ورسولنا يتفق معهم في لقب الرسالة، ما يجعل الألقاب هنا رباطا بين الأنبياء جميعا، كما أنها رباط بين هذه المشاهد التي تحكي قصة كل "رسول أمين" مع قومه مع مشهد الرسول الذي هو "رسول أمين" مع أهل مكة.

الاقتصار دون التفصيل:

ومن التماسك المعنوي في السورة الكريمة أن حكاية الأنبياء السابقين هنا لم تذكر تفاصيل دعوتهم بل جاءت موجزة مقتصرة على عرض قضية الإيمان على الأقوام ثم بيان رد هؤلاء الأقوام على أنبيائهم وانقسامهم فريقين وبيان جزاء كل فريق، دون الخوض في تفصيل مجريات حيواتهم كما جاء في غيرها من السور؛ فقصة سيدنا موسى هنا لم تذكر التفاصيل التي جاء ذكرها في سور "الأعراف، وطه، والقصاص"، وقصة سيدنا إبراهيم لم تذكر التفاصيل التي جاءت في سور "البقرة، والأنعام، والأنبياء" وكذلك بقية الأنبياء هنا لم يذكر معهم إلا ما كان من إعلامهم بقضية الإيمان، وهذا مما يتناسب مع السورة التي جاء بها الإعلام بالجهر بالدعوة: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ أَنْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١١٥) فالإقتصار على الحدث الرئيس هنا أنفع وأكد لدى

المستمعين لأن ما نحتاج معرفته هنا هو كيفية الجهر وبيان ردة الفعل حتى نكون على بينة من الأمر.

مرجعية اسم الإشارة:

كما يظهر الترابط العضوي في قوله تعالى: "إن في ذلك لآية" الأولى التي صرف المفسرون مرجعية اسم الإشارة فيها إلى دلالة الآية السابقة عليها: "أولم يروا إلى الأرض..!"; لكن الحبك المعنوي بين مشاهد الأنبياء ومتواليات السرد هنا يشيران من طرف ظاهر إلى أن مرجع اسم الإشارة قد يكون إلى قضية التوحيد الذي ذكر قبلها وهو مناط سرد قصص الأنبياء السابقين، وما يترتب عليه من الإنجاء والهلاك أو التبشير والإنذار، وبهذا يرتبط هذا المشهد بالمشاهد اللاحقة له التي اختتمت بهذا القول الإلهي واختصت بها السورة الكريمة.

عطف التلقين:

ومن أدوات التماسك المعنوي في السورة الكريمة "عطف التلقين" وهو عطف المخاطب كلاماً على ما وقع في كلام المتكلم تنزيلاً لنفسه في منزلة المتكلم، ليكمل شيئاً تركه المتكلم إما عن غفلة وإما عن اقتصار فيلقنه المخاطب ما تركه بحيث يلتئم من الكلامين كلام تام، وقد جاء في قوله تعالى: "قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢)"، "وجواب نوح عن كلام قومه يحتاج إلى تدقيق في لفظه ومعناه، فأما لفظه فاقتران أوله بالواو يجعله في حكم المعطوف على كلام قومه تنبيهاً على اتصاله بكلامهم، وذلك كناية عن مبادرته بالجواب كما في قوله تعالى حكايةً عن "إبراهيم عليه السلام" قال ومن ذريتي "البقرة: ١٢٤" بعد قوله: "قال إني جاعلك للناس إماماً" "البقرة: ١٢٤". ويسمى عطف تلقين مراعاةً

لوقوعه في تلك الآية والأولى أن يسمى عطف تكميل^(١)، وفي موضع سابق يرى الإمام أن نطلق عليه "التلقين" فقط دون كلمة عطف فيقول: "والأولى أن تحذف كلمة عطف وتُسمى هذا الصنف من الكلام باسم التلقين وهو تلقين السامع المتكلم ما يراه حقيقاً بأن يلحقه بكلامه، فقد يكون بطريقة العطف وهو الغالب كما هنا^(٢)، وقد يكون بطريقة الاستفهام الإنكاري والحال كقول تعالى: (قالوا بل ننبئُ ما ألقينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً) (البقرة : ١٧٠) فإن الواو مع (لو) الوصلية واو الحال وليس واو العطف فهو إنكار على إلحاقهم المستفهم عنه بقولهم ودعواهم ، وقد يكون بطريقة الاستثناء كقول العباس لمَّا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حرم مكة (لا يُعْضدُ شجره) فقال العباس إلاَّ الإذخِرِ لبيوتنا وقيننا^(٣)، والأولى منهما أن نطلق عليه استدراكا سواء قبله المحاور أم لم يقبله.

وقد جاء هذا النوع من العطف في السورة الكريمة في موضع سابق في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِيْنِ اُنْخَذَتْ اِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِيْنَ ﴾^(٤) قَالَ اَوْلُوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِيْنٍ^(٥) قال الإمام الألويسي هنا حكاية عن الإمام الطيبي: "يمكن أن يقال إن الواو عاطفة وهي تستدعي معطوفا عليه وهو ما سبق في أول المكالمة بين نبي الله تعالى وعدوه والهمزة مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه للتقرير والمعنى أتقر بالوحدانية وبرسالتني أن جئتكم بعد الاحتجاج بالبراهين القاهرة والمعجزات الباهرة الظاهرة"^(٤)، وهذا النوع من العطف يمتن العلاقة المعنوية والدلالية بين آيات الحكاية الواحدة كما نرى؛ إذ يجعل كلام المخاطب متحدا مع

(١) التحرير ج ١٩ ص ١٦٠.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى " قال ومن ذريتي.." البقرة ١٢٤.

(٣) التحرير ج ١ ص ٧٠٤.

(٤) روح المعاني، ج ١٩ ص ٧٥.

كلام المتكلم مما يؤدي إلى تكامل الكلامين وفي هذا ما فيه من السبق على المتكلم "فرعون" وتسييره في مسار المخاطب "موسى" دون أن يستطيع أن يغير مسار الحديث إلى الوجهة التي يريد.

تتابع السرد:

ومن ألوان التماسك المعنوي في هذه السورة الكريمة تتابع السرد القصصي دون التقديم بحروف عطف في بداية المشاهد النبوية؛ فنجد أن المشهد النبوي مع سيدنا نوح يبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ ، ومشهد سيدنا هود يبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ، ومشهد سيدنا صالح يبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ ، ومشهد سيدنا لوط يبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ ، ومشهد سيدنا شعيب يبدأ بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ ، وهذه المشاهد مصدرة بقوله تعالى "كذبت" وهو في تأويل "قل يا محمد كذبت..". وقد "ذكر غير واحد أن الجمل المفتحة بالقول إذا كانت مرتبا بعضها على بعض في المعنى فالأصح أن لا يؤتى فيها بحرف اكتفاء بالترتيب المعنوي وقد جاء في سورة الشعراء من ذلك كثير بل القرآن مملوء منه"^(١)، فنجد أن الرباط المعنوي بين هذه المشاهد والمشهد الافتتاحي الخاص بمشهد سيدنا محمد مع قومه قد أغنى عن إيجاد حرف العطف بين هذه المشاهد المتتابعة.

تشابه النهايات:

ومن ألوان التماسك المعنوي هنا تشابه نهايات المشاهد القصصية للأنبياء السابقين مع نهاية المشهد المحمدي: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ

(١) روح المعاني، ج ١ ص ٢٢٦.

رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ فهاتان الآيتان ختم بهما المشهد المحمدي في مفتتح السورة كما ختم بهما كل مشهد من مشاهد الأنبياء السابقين وتشابه النهايات يدل على تشابه البدايات وإن اختلفت ظاهرا؛ فقد اختلف المعاندون لكل نبي من حيث الزمان والمكان والمكانة التي يحتلونها في أقوامهم، لكن العناد الحاصل منهم يمثل التشابه بينهم جميعا مما ينبئ بأن الاختلاف هذا اختلاف ظاهري فقط أما حقيقة الأمر أنهم متشابهون في الصد عن دعوة الرسل وهذا يبدو لي أنه من أهم أسباب ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم.

الأسلوب اللغوي:

ومن الآيات التي تمتن خاتمة السورة بما تقدم من السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿أَوْ لَوْ يَكُنْ هُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿١١٧﴾ فهذه الآية دالة من دوال الترابط المعنوي في هذه السورة الكريمة؛ ذاك أن السورة تتحدث فيما تتحدث من مبدأها إلى نهايتها عن القرآن الكريم والجهر بالدعوة، فجاءت هذه الآية وما قبلها لتدلل على نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى بشهادة علماء بني إسرائيل، لكن أكثر المفسرين قد اقتصرُوا في تفسير هذه الآية على أنها دليل على معرفة بني إسرائيل بالقرآن وبرسالة الإسلام وبرسول الإسلام كما هو موصوف في كتبهم وأيده القرآن نفسه بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، بل إن بعض المفسرين خصص أشخاصا بأعيانهم مثل: "عبدالله بن سلام وسلمان"، وقد أرسل أهل مكة إلى بني إسرائيل في المدينة: "يَسْأَلُونَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا لَزَمَانُهُ، وَإِنَّا لَنَجِدُ فِي النُّورَةِ نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ. فَيَرْجِعُ لَفْظُ الْعُلَمَاءِ إِلَى كُلِّ مَنْ كَانَ لَهُ عِلْمٌ بِكُتُبِهِمْ أَسْلَمَ أَوْ لَمْ يَسْلَمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ. وَإِنَّمَا

صَارَتْ شَهَادَةً أَهْلِ الْكِتَابِ حُجَّةً عَلَى الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَرْجِعُونَ فِي أَشْيَاءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُمْ مَظْنُونٌ بِهِمْ عِلْمٌ^(١)، لكنني أرى أن موقع هذه الآية قبل الآيات التي جاء فيها ذكر الشعراء - وهم المعنيون بالأساليب البيانية- فيه إشارة بأن المقصود هنا كيفية من كيفية علم أهل الكتاب بصحة نسبة القرآن الكريم إلى الله تعالى ويقينهم من ذلك، وهذا اليقين جاءهم لأن أسلوبه اللغوي يفارق كتبهم المحرفة التي بين أيديهم؛ فالكتاب إذا كان منزلاً من عند الله تعالى نجد الحديث فيه بصيغة المتكلم كما في غير موضع من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤) أو مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِصَ إِبْرَاهِيمَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص: ٣٠)، أما التوراة المحرفة التي بين أيدي بني إسرائيل فصيغة الحديث فيها بصيغة الغائب: "قال الرب" حيث إنهم يجهلون من نقل إليهم الكلام المكتوب في التوراة وصيغة الكلام فيها تدل على أن كاتبها ليس هو الله تعالى وليس هو سيدنا موسى عليه السلام، وذلك مثل قول التوراة في مفتح سفر التكوين: "في الأول خلق الله السماء والأرض، .. وقال الله ليكن النور وكان النور، ونظر الله أن النور حسن، وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارة.."^(٢)، لذا فهي عندهم كتبت من قبل طرف ثالث غير مقدس، وعليه فالكلام الذي كتب من شخص غير مقدس هو كلام غير مقدس، ما جعلهم يحرفون فيها كما يريدون

(١) الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ج ١٣ ص ١٣٩.

(٢) التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم أد/ سهيل زكار، دار قنتيبة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م، ص ١٠٣.

وينظرون إليها على أنها كتاب تاريخ بجانب بعض الوصايا التي تخص شريعته، وعليه فالتلمود الذي كتبه حاخاماتهم هو أقدس عندهم من التوراة، ولعل هذا يفسر لنا بعض حسدهم إيانا؛ إذ بين أيدينا القرآن الكريم الكتاب الذي نثق أنه من عند الله، وأنه تعالى قد اختصنا بأفضل رسله وجعلنا أفضل الأمم، وقد أخبر القرآن بحسدهم هذا في قوله تعالى: ﴿وَدَكَايِمٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَمُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ (البقرة: ١٠٩)، وهكذا يبين موضع الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝﴾ أن الإشارة إلى البناء الأسلوبي للقرآن الكريم تثبت عند بني إسرائيل أن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله تعالى وليس من تحريفات البشر كما هو كتابهم، وهذا يثبت عند أهل مكة -بعد سؤالهم بني إسرائيل- أنه كتاب منزل من عند الله تعالى وليس من إفك الشياطين أو إنشاد الشعراء.

الإندار لقريش:

ومن الدوال المعنوية هنا قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝﴾ تلك الدالة التي تأخذ بمجامع الآيات الكريمات قبلها التي نهضت بحكاية مشاهد الأنبياء وما احتوته من إنذارات للأقوام السابقة، وعليه فكل إنذار قد مر ذكره في مشاهد الأنبياء هو متضمن معنويا في هذه الدالة "وأنذر" وموجه إلى قريش.

المبحث الثاني: أزمنة الخطاب في السورة:

يؤدي البناء الزمني دوراً مهماً في البناء الفني للنص من حيث ربط الأحداث المتفرقة زمانياً في سياق واحد وتربطها في حبكة، وهذا البناء الزمني يتنوع بحسب مسار النص الذي ينهض به؛ وذلك لأن الحكاية تأتي على زمانين رئيسيين هما زمن القصة وزمن الخطاب: "وزمن القصة مرتبط بالترتيب المنطقي للأحداث؛ فلا يولد حدث إلا على سبيل الضرورة أو الاحتمال من الذي قبله؛ فلو كان عندنا مثلاً ثلاثة أحداث هي على التوالي (أ - ب - ج) فلا يحدث الحدث (ب) إلا بسبب من الحدث (أ)، وكذلك لا يحدث الحدث (ج) إلا بسبب من الحدث (ب)، بينما زمن الخطاب غير مرتبط بالترتيب المنطقي للأحداث"^(١)، وهذا يجعلنا نرى تداخلاً للأزمنة الخطابية عبر الزمن القصصي ما ينتج عنه لطائف مقصودة في الحكي وروابط للأطراف يجعل الحكايات حكاية واحدة وإن تفرقت ظاهراً.

وإن الاستبصار المتأني للبناء الزمني للسورة الكريمة "الآني والاسترجاعي والاستباقي" -بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من الترابط اللفظي والمعنوي- من حيث تداخله يبين أن السورة كلها وحدة متجانسة تمثل قصة واحدة متعددة الأزمنة؛ منها الزمن الآني ويمثله جزآن من السورة الكريمة؛ جاء الجزء الأول في مفتتح السورة من أولها إلى الآية التاسعة: ﴿طَسَّرَ ۝١ تَكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَخِعٌ مِّنْهُ لَآ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ إن نَشَأَ نَزَّلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثِينَ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءٌ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَأْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ

(١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحداني، المركز الثقافي العربي

أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ، الذي يصور حالة تكذيب مشركي مكة وإعراضهم عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا المشهد اقتضى استرجاعا زمنيا يكون إسهادا على أهل مكة وإقامة للحجة عليهم وهو ما سنجده في حكاية مشاهد الأنبياء السابقين، وجاء الجزء الثاني من الزمن الآني في اختتام السورة الكريمة ويمثله الحديث عن القرآن الكريم ونسبته إلى الله تعالى، والأمر بالجهر بالدعوة.

الاسترجاع الزمني:

إن استعادة أحداث الزمن الماضي في الحوار يعد حكاية ثانية تتدرج داخل إطار الحكاية الأولى وذلك لوظائف تقدمها هذه الحكاية الثانية، ويتمظهر الاسترجاع هنا في قصص الأنبياء السابقين المكتنزة فوائد متعددة، وأول هذه الفوائد هنا هو أن تقدم المثل والعظة إذ إن أحداث الماضي وهي عرض قضية الإيمان على الأقسام السابقة تشابه الأحداث الحالية وهي عرض قضية الإيمان على أهل مكة، مما يكون موجها بصفة مباشرة إلى أهل مكة للإفادة من هذا العرض، لذلك نجد الحديث هنا انتقل إلى الزمن الماضي ليحكي مشاهد الأنبياء السابقين بعرض متعدد امتد من الآية العاشرة حتى الآية الحادية والتسعين بعد المائة أي بنسبة ٧٩.٧ % من السورة الكريمة، وهذه النسبة الكبيرة لها دلالتها في توجيه النظر إلى العواقب المترتبة على إبلاغ الدعوة إلى الأقسام السابقين من حيث الإنجاء والإهلاك، وهذه المشاهد هي مشاهد الأنبياء: "موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب" -عليهم السلام- مع أقوامهم، وهي مشاهد تشترك مع المشهد الافتتاحي مبنى ومعنى، فالتكذيب الحاصل من الأقسام السابقين ثم المآل الذي آلت إليه نهايتهم هما مناط التشابه المعنوي الموجه إلى أهل مكة، وأما الآيتان المعقبتان لكل مشهد " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩) " فهما دالة من دوال التشابه اللفظي كما مر في السبك

اللفظي، وهذا الاسترجاع يمثل الإشهاد على قريش بذكر المشاهد السابقة للأنبياء السابقين مع أقوامهم الذين عاندوا وكذبوا مثلما يفعل مشركو مكة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآن؛ فقد تظاهرت كتب التفسير - بتنوعها ودقتها- على أن من مناط سرد القصص في القرآن الكريم هو معرفة أخبار السابقين حتى تتقطع صفة الأمية عن الأمة العربية كما وصفهم بها أهل الكتاب السابقون، وحتى يكون لهم فيهم عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. ولم تأت هذه المشاهد للأنبياء هنا على الترتيب الزمني لهم بل جاءت على ترتيب زمن الخطاب حسبما جاء في سورة الفرقان السابقة عليها في ترتيب المصحف الشريف؛ إذ ابتدأت بمشهد سيدنا موسى ومن بعده الأنبياء: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۝٣٥﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ۝٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧﴾ (الفرقان: ٣٥:٣٧)؛ وتفصيلها كالآتي:

مشهد سيدنا موسى -عليه السلام- واستغرق من الآية العاشرة حتى الآية الثامنة والستين، وذكر في هذا المشهد لقاء سيدنا موسى ومحااجة فرعون له، ثم مشهد السحرة وإيمانهم بالله تعالى، ثم ملاحقة فرعون لسيدنا موسى ومن تبعه من المؤمنين، وانتهى المشهد بنجاة سيدنا موسى وغرق فرعون، وهذا المشهد جاء بشيء من التوضيح إذا ما قورن بمشاهد الأنبياء الآتي ذكرهم بعده إذ جاء ذكر مشاهدهم بشيء من الإجمال، وأرى أن ذلك قد يكون لأن الأنبياء الآتي ذكرهم يمثل كل نبي منهم موقف أمة هي أمته التي أرسل إليها، ولا شك أن أمة بني إسرائيل قد بعث إليهم أكثر من نبي، والعبرة من سوق مشاهد الأنبياء هنا هي حشد الأمثلة إلى قريش لتأخذ العظة من الأمم السابقة لمعرفة جزاء العناد والتكذيب لرسل الله تعالى، وليس حكاية تفاصيل كل مشهد للأنبياء السابقين مع أقوامهم، كما أن سيدنا موسى عليه السلام قد اختص بأنه أرسل إلى أمتين؛ إلى

فرعون وقومه وبني إسرائيل وغيره - عدا سيدنا محمد - قد أرسل إلى أمة واحدة؛ فتناسب مع ذلك أن يكون مشهد سيدنا موسى مسرودا بشيء من التوضيح وذلك عوضا عن ذكر بقية الأنبياء الذين أرسلوا إلى بني إسرائيل، وكأنهم مجملون في قصة سيدنا موسى.

ولم نر في مشهد سيدنا موسى هنا ذكرا لأمه وما حدث له وهو صغير كما في سور: "الأعراف وطه والقصص" مثلا، لأن مناط سوق القصة هنا يكفي فيه المشهد المحكي، وهذا مما ينفي شبهة التكرار التي يلوكها بعض من ليس لهم ذوق بالعربية وأساليبها التي تكتفي بذكر ما له مزيد اختصاص بالموقف المحكي إذ يذكر ما يُحتاج إلى معرفته فقط.

والقراءة الأخرى التي سبق ذكرها في قوله تعالى: "ألا تتقون" تمثل عودة من الزمن الماضي إلى الزمن الآتي، وباستكمال الآيات الخاصة بمشهد سيدنا موسى بعدها يكون الحكى قد رجع إلى الزمن الماضي مرة أخرى، وهذا على سبيل إثارة الذهن ومواجهة المخاطبين بسؤال توبيخي على إنكارهم الحاصل وعدم أخذ العربة من مشاهد الأمم السابقة.

ثم مشهد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - مع قومه من الآية التاسعة والستين إلى الآية الرابعة بعد المائة، وقد حكى هذا المشهد بشيء من التوضيح أيضا لأن عبادة الأصنام عامل مشترك بين قوم سيدنا إبراهيم وقريش، ولتشابهه محاجة قوم سيدنا إبراهيم مع محاجة قريش؛ فهما عبدا الأصنام ورفضوا توحيد الله تعالى بالألوهية.

ثم مشاهد سادتنا: "نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب" عليهم السلام، وقد جاءت هذه المشاهد بشيء من الإجمال يتناسب مع فائدة ذكرهم هنا وهي بيان الجزاء الذي وقع لأقوامهم نتيجة عنادهم وتكذيبهم أنبياءهم، بالإضافة إلى بيان الناجين الذين كان إيمانهم سببا في نجاتهم.

الاستباق الزمني:

ثم يعود الحكي إلى الزمن الآني مرة أخرى ويمثله المشهد الختامي الذي يمثل عودة الخطاب لمشركي مكة بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ (٢١٧) لكننا نجد أن هذا المشهد يتخلله قفزات استباقية؛ فالآيات تبين أن أهل مكة إن لم يتعضوا بما سيق لهم من مشاهد الأمم السابقة ومصايرهم التي لقوها جزاء تكذيبهم فسيكون مصيرهم هو هو المصير ذاته من الخسف في الدنيا والعذاب في الآخرة.

كما ينتقل الحديث إلى حكاية الشعراء الذين وصفهم الله بأنهم غاؤون يهيمون في كل واد إلا الفئة المؤمنة التي دافعت عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم "حسان بن ثابت"، ويرى فريق من العلماء بأن السورة كلها مكية ومنهم الإمام "الطاهر بن عاشور" صاحب "التحرير" إذ يقول: "وعن مقاتل: أن قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُمُ اللَّهُمُّ بِئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (الشعراء: ١٩٧) نزل بالمدينة . وكان الذي دعاه إلى ذلك أن مخالطة علماء بني إسرائيل كانت بعد الهجرة، ولا يخفى أن الحجة لا تتوقف على وقوع مخالطة علماء بني إسرائيل؛ فقد ذكر القرآن مثل هذه الحجة في آيات نزلت بمكة، من ذلك قوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ في سورة الرعد (٤٣) وهي مكية، وقوله: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ (في سورة القصص (٥٢) وهي مكية، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ في سورة العنكبوت (٤٧) وهي مكية، وشأن علماء بني إسرائيل مشهور بمكة وكان لأهل مكة صلوات مع اليهود بالمدينة ومراجعة بينهم في شأن بعثة محمد كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿ وَسِعَتْ أَرْوَاحُ ﴾ في

سورة الإسراء (٨٥)، ولذا فالذي نوقن به أن السورة كلها مكية^(١)، وقد نص الإمام هنا على أن الإشارة هنا إلى شعراء المدينة فقال: "وكذلك من أسلموا من الأنصار كعبد الله بن رَواحة، وحسانَ بن ثابت ومن أسلم بعدُ من العرب مثل أبيد، وكعب بن زهير، وسُحيم عبد بني الحساس، وليس ذكر المؤمنين من الشعراء بمقتضي كون بعض السُّورة مدنيًّا كما تقدم"^(٢)، وعلى الرأي الذي يقول بأن السورة كلها مكية تمثل هذه الآيات قفزة استباقية تحكي مشاهد من حياة الرسول في المدينة حين كان شعراؤه يدافعون عنه وعن الإسلام ضد هجائي قريش.

ومما يعد من الاستباق الزمني أيضا في هذا المشهد ما حكاه القرآن الكريم عن حال الكافرين بعد عدد من السنين: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٥٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ وهو مشهد مستقبلي باعتبار زمن القصة، كما أن هذا المشهد لم يختم بالآيتين المعقبتين إشارة إلى أن قصة رسولنا الكريم هي القصة الخاتمة لقصص الأنبياء التي لم توضع لها النهاية بعد؛ لأن نهايتها تأتي مع إتيان يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

ومما يعد من الاستباق قوله تعالى حكاية عن أهل مكة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴿٨﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَأَسَدِ نَفِي الْإِيمَانِ إِلَى أَكْثَرِهِمْ لِأَنَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ يُؤْمِنُونَ حِينَئِذٍ أَوْ بَعْدَ ذَٰلِكَ، و (كان) هنا مقحمة للتأكيد على رأي سيبويه والمحققين^(٣)، ويعلمه تعالى الأزلي يخبرنا بعدم إيمان أكثرهم الذي وقع منهم، وعن هذا يقول صاحب اللباب: " وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ: مصدقين أي: سبق علمي فيهم أن

(١) التحرير والتنوير، ج ١٩ ص ٩٠.

(٢) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢١١.

(٣) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ١٠٢.

أكثرهم لا يؤمنون"^(١)، فهذا إخبار بما سيقع منهم في المستقبل بعد زمان الحكي هنا.

ومما يعد من الاستباق الزمني ما حكاه الإمام الألوسي نقلا عن شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري قوله في قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧)" وقد سلك شيخ الإسلام في تفسير الآية مسلكا تفرد في سلوكه فيما أظن فقال: "وما كان أكثرهم أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام مؤمنين لا بأن يقيسوا شأنه صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون كل من الطريقتين مما يؤدي إلى الإيمان قطعاً، ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين ما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى "وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين" وهو إخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد سماع الآيات الناطقة بالقصة تقريراً لما مر من قوله تعالى "ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا" الخ وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الإيمان واستمرارهم عليه"^(٢)، ثم يوافق الإمام الألوسي على هذا الرأي بقوله: "وأنا أختار كما اختار شيخ الإسلام من رجوع الضمير إلى قوم نبينا عليه الصلاة والسلام وأول السورة الكريمة وآخرها في الحديث عنهم وتسلية صلى الله عليه وسلم عما قالوه في شأن كتابه الأكرم ونهيه صريحا وإشارة أن يذهب بنفسه الشريفة عليهم حسرات

(١) اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، ج ١٥ ص ٧.

(٢) روح المعاني ج ١٩ ص ٩١.

وكل ذلك يقتضي اقتضاء لاريب فيه رجوع الضمير إلى قومه عليه الصلاة والسلام، ويهون أمر عدم رجوعه إلى الأقرب لفظاً ويكون الارتباط على هذا بين الآيات أقوى^(١)، كما يؤيد هذا المذهب قراءة "ألا تتقون" التي تخاطب أهل مكة، وليس "ألا يتقون" التي تحكي قصة السابقين.

والحق أن المفسرين انقسموا في تفسير مرجع الضمير في قوله تعالى المتكرر: "وما كان أكثرهم مؤمنين" فمنهم من يرجع الضمير إلى قوم النبي المذكور قبلها ومنهم الإمام "القرطبي" الذي يفهم ذلك من كلامه إذ يقول: "وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ" لأنه لم يؤمن من قوم فرعون إلا مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وابنته آسية امرأة فرعون، ومريم بنت موسى العجوز التي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام^(٢)، ومنهم من يرجع الضمير في هذه الآيات إلى قوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كالإمام الطبري إذ يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: وما كان أكثر قومك يا محمد مؤمنين بما أتاك الله من الحق المبين، فسابق في علمي أنهم لا يؤمنون^(٣)، ولفظة كان هنا لا تفيد الماضي: "و {كَانَ} هنا صلة في قول سيبويه؛ تقديره: وما أكثرهم مؤمنين"^(٤)، ويفهم من كلام الإمام "الطاهر بن عاشور" مرجع الضمير إلى كفار مكة إذ يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تكرر ثالث لهاته الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم. واسم الإشارة إشارة إلى كلام إبراهيم

(١) روح المعاني ج ١٩ ص ٩٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣ ص ١٠٧.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ج ١٩ ص ٣٦١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣ ص ٩٠.

عليه السلام فإن فيه دليلاً بيّناً على الوحدانية لله تعالى وبتلان ألوهية الأصنام، فكما لم يهتد بها قوم إبراهيم فما كان أكثر المشركين بمكة بمؤمنين بها بعد سماعها، ولكن التبليغ حق على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد تقدم الكلام على نظير هذه الآية^(١)، ومنهم من يجوز مرجع الضمير إلى قوم النبي المذكور أو إلى قوم سيدنا محمد كالإمام ابن عجيبة إذ يقول: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ أي: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين الذين سمعوا قِصصهم منه - عليه الصلاة والسلام - مؤمنين، فلم يقيسوا حاله صلى الله عليه وسلم بحال موسى، وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين، ولم يتدبروا في حكايته صلى الله عليه وسلم لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد، مع كونه أمياً لا يقرأ، وكل من الطريقتين مما يؤدي إلى الإيمان، قطعاً لانهماكهم في الغفلة، فكان على هذا زائدة، كما هو رأي سيبويه، فيكون قوله تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣] وهو إخبار منه تعالى بعدم إيمانهم في المستقبل، أو: وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين بموسى عليه السلام، قال مقاتل: لم يؤمن من أهل مصر غير رجل وامرأتين؛ حزقيلا المؤمن من آل فرعون، وآسية امرأة فرعون، ومريم بنت ياموشى، التي دَلَّتْ على عظام يوسف^(٢)، وأرى أنه لهما يؤكدده الحبك المعنوي الحاصل بين آيات السورة الكريمة أن نرجع الضمير في كل لقوم سيدنا محمد، وذلك حتى لا يفك هذا الارتباط بتوزيع الضمائر في الآيات على الأقسام المتعددة.

ويمثل الجدول الآتي خطأ بيانياً وتلخيصاً للزمين الخطابى في السورة الكريمة:

(١) التحرير والتنوير، ج ١٩ ص ١٥٦.

(٢) البحر المديد .، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، دار الكتب العلمية . بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ج ٥ ص ٢٥٥.

الزمن	الآيات	وصف المشهد
١- الزمن الآتي: ويمثله المشهد المحمدي مع قريش	٩:١	بداية خطاب الرسول لقومه وإعراضهم عن قضية الإيمان.
٢- الزمن الماضي الاسترجاعي ويمثله مشاهد الأنبياء: سيدنا موسى مع قومه	٦٨:١٠	لقاء سيدنا موسى بفرعون إلى الخروج من مصر والنجاة منه وبيان جزائه من الإغراق.
مشهد سيدنا إبراهيم مع قومه	١٠٤:٦٩	خطاب سيدنا إبراهيم لقومه وإعراضهم عن قضية الإيمان وبيان جزائهم من دخول النار.
مشهد سيدنا نوح مع قومه مشهد سيدنا هود مع قومه	١٢٢:١٠٥	تكذيب قوم نوح لقضية الإيمان ثم خطابه لقومه، وبيان جزائهم من الإغراق.
مشهد سيدنا صالح مع قومه	١٤٠:١٢٣	تكذيب قوم عاد لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا هود لهم وبيان جزائهم من الهلاك.
مشهد سيدنا لوط مع قومه مشهد سيدنا شعيب مع	١٥٩:١٤١	تكذيب قوم ثمود لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا صالح لهم ثم بيان جزائهم من العذاب.

تكذيب قوم لوط لقضية الإيمان ثم خطابه لهم وبيان جزائهم من التدمير .	١٧٥:١٦٠	قومه
تكذيب أصحاب الأيكة لقضية الإيمان ثم خطاب سيدنا شعيب لهم وبيان جزائهم من عذاب يوم الظلة.	١٩١:١٧٦	
ويشمل وصف القرآن الكريم، وإعراض مشركي مكة عنه، والأمر للرسول بإنذارهم، ونفي صفتي الكهانة والشعر عنه صلى الله عليه وآله وسلم.	٢٢٧:١٩٢	٣- زمن آني ويمثله مشهد العودة لحديث سيدنا محمد مع قريش ويتخلله قفزات استباقية للتحذير من مغبة التكذيب

ويتضح من هذا الجدول أن سورة الشعراء وحدة متجانسة ذات حدث واحد - وهو عرض قضية الإيمان من الأنبياء والتكذيب والإعراض من أقوامهم ثم بيان الجزاء من الله تعالى - متكرر ثماني مرات عبر الاسترجاع الزمني، ما يقدم لنا ثلاثة أزمنة خطابية؛ زمانا آنيا ساعتئذ أنذر الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد عبرت عنه الآيات الكريمة التسع الأولى من السورة، وزمانا استرجاعيا مثله مشاهد الأنبياء السابقين، وزمانا استباقيا تخلل الزمن الآني في ختام السورة وفيه إخبار بالعاقبة الوخيمة للمنكرين من قريش.

وهذه المفارقات الزمنية التي أحدثها زمن الخطاب هنا لها دلالات مستفادة في تأويل الآيات وترتيب الأحداث وترابطها، ما نتج عنه أن اقتضت قصص الأنبياء هنا - عن طريق تقنية الحذف وتلخيص الأحداث - على حوارات الأنبياء

مع أقوامهم حول قضية الإيمان وما هم فيه من الظلم والطغيان دون الخوض في تفاصيل الحياة أو مسارات ضلالهم لأن مناط الاستشهاد هنا اقتضى أن يكون الاسترجاع الزمني موقوفاً على نقاط محددة في الحكي وليس لحكاية تفاصيل الحكاية التي رجع الزمن إليها.

وهذا الإشهاد بواسطة القصص هنا على أهل مكة ينفي أن تكون الوظيفة الوحيدة للقصص هنا مجرد تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقط كما رأى كثير ومنهم الدكتور "تومان غازي" الذي يقول: "ولما كانت القصص الواردة في سورة الشعراء موظفة لتأكيد فكرة رئيسة واحدة هي تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، لذا جاءت بأساليب مميزة تهيؤها لأداء تلك الوظيفة الخاصة، فهي لم ترد في السورة الكريمة مستقلة مثل قصة يوسف عليه السلام"^(١)، ولا شك أن هذا إنقاص من وظيفة القصص هنا والذي يشير الخطاب الموضوعي للسورة هنا بأن وظيفة الإشهاد على أهل مكة لا تقل عن وظيفة تسلية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الوظائف تؤكد علاقة القصص بالبناء الفكري للسورة الكريمة.

(١) تقنيات الزمن في قصص الشعراء، د. تومان غازي حسين، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد الثالث والعشرون المجلد الأول ٢٠١١م، ص ٤٩ وما تليها.

المبحث الثالث: حوارية السورة الكريمة:

تدور الوظيفة الكبرى لسورة الشعراء حول كيفية توصيل الدعوة الإسلامية إلى أهل مكة بأحسن طرق الخطاب المؤثر يقول تعالى أمرا نبيه الكريم بالجهر بالدعوة: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٦٤) وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرَبِّي مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ؛ وهذا الخطاب المؤثر له أهميته في إقناع الطرف الآخر من الحوار؛ فهو العامل الأساس والأهم في توصيل الرسالة إلى المرسل إليه، وإن اختيار أنسب الطرق الملائمة لإقناعه لمن الأهمية بمكان حتى يؤدي الوظيفة المنوطة به على أتم ما يكون؛ ولذا نجد سيدنا "موسى" عليه السلام حينما خشي فوات هذا التأثير الذي هو سبب الإقناع دعا ربه أن يشد عضده بأخيه: "وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَٰؤُلَاءِ" حتى يسانده إذا انعقد لسانه ولم يبين عما في نفسه حق الإبانة، ولذا عرضت السورة أيضا لنماذج من خطابات الأنبياء السابقين إلى أقوامهم حتى يكون ذلك أداة تعليمية؛ فالنبي في هذا الوقت الذي أمر فيه بالجهر بالدعوة والمسلمون من بعده تبع كانوا يحتاجون إلى تعلم فن الإعلام عن هذه الدعوة المباركة، وفن مهارات التواصل مع كل طوائف المجتمع المتنوعة التي سيتعرضون لها فيما بعد، إذ هم سوف يهاجرون ويرتحلون إلى أماكن شتى ويتقابلون مع أناس شتى تتفاوت عقولهم وطباعهم، وبالطبع لكل مدخل يتناسب معه، لذا عرضت السورة لنماذج من هذه الحوارات المختلفة مع الأمم السابقة.

وقد ذيل كل حوار من حوارات الأنبياء مع أقوامهم بالآيتين المتكررتين: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٠٣) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ و"العزیز الرحیم" صفتان من صفات الله تعالى لكنهما لا يأتيان من باب واحد؛ فواحدة تأتي من باب الجلال والثانية تأتي من باب الجمال وهذا يتناسب مع وجود طرفين متباعدين ممثلين للمبدأ الحوارى الذي تقوم عليه الآيات، فطرف فيه الرسول

صلى الله عليه وآله ومن آمن معه وهؤلاء يتجلى عليهم الله بالاسم "الرحيم"، وطرف فيه المشركون وهؤلاء يتجلى عليهم الله بالاسم "العزیز" فلكل الاسم الذي يتناسب مع حالته أمام الله تعالى.

ومما يدعم وجهة النظر التي ترجح أن تتابع القصص - وبخاصة مع الأمر بالجهر - من أجل تعليم المسلمين - والنبي أول المسلمين - كيفية الحوار والمحااجة؛ الحرص على ذكر أمثلة متنوعة من خطابات الأنبياء السابقين، وذلك حتى تكون هذه الأمثلة نماذج حية مضيئة ممثلة لفئات عدة أمام المسلمين، وحينئذ يستطيعون أن يتخيروا المدخل المناسب الذي يتلاءم مع المخاطبين بعد، وهذا من ناحية أخرى دليل من دلائل ارتباط سور القرآن الكريم ببعضها؛ لأننا لا نستطيع أن نعد قصص الأنبياء هذه خطابا مؤديا إفادة تامة من موضع واحد، بل الإفادة في كل موضع مقصورة على ما يحتاجه السياق في موضعه، ويتوجب على من يريد الإحاطة بالقصة الكاملة أن يأخذها من جميع المواضع التي ذكرت فيها حتى يكون الخطاب متكاملًا، أي يجب أن تتضمن الآيات التي اختصت بذكر الأنبياء أولاً ثم استخلاص القصة مكتملة منها آنذاك، وهذا باستثناء قصة سيدنا يوسف التي ذكرت كاملة في السورة التي عنونت باسمه الكريم، ولو أن الخبر الذي جاءت به سورة غافر له من الأهمية ما يمكن إضافته إلى سورة يوسف في تادية القصة مكتملة.

وبدأت السورة الكريمة بذكر قصة الرسول مع أهل مكة، وقد ذيلت بالتذييل المتكرر بعد كل قصة من قصص الأنبياء وهذا إشارة إلى ارتباط دعوة الرسول ودعوة الرسل السابقين، وأن ذلك تمهيد لذكر قصص الأنبياء فقد قال تعالى:

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ ، وعليه يكون المشار إليه في قوله بعدها: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً.." هو التكذيب الحاصل من الأقوام وما ترتب عليه من الجزاء بجانب الإشارة إلى

كيفية إنبات الأرض ودلائل القدرة في ذلك، وعليه يكون التتابع هنا في الآيتين يقدم قرانا بين الدليل النقلى المتمثل في أخبار الأنبياء السابقين وما كان من أمرهم مع أقوامهم، والدليل العقلى المتمثل في التفكير في أمر إنبات الأرض وما يتطلب ذلك من وجود إله قادر على فعل ذلك الإنبات وهذا كله دليل صدق على رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك تواترت المؤكدات في قوله " وإن ربك لهو العزيز الرحيم" من إن واللام واسمية الجملة والواو المشعرة بالقسم وأسلوب القصر بضمير الفصل، وكل ذلك مرده إلى التأكيد على حتمية المصير من العقاب أو الإنجاء؛ ولذا قدم اسم العزة الغالب ليناسب وجوب هذا المصير للمكذبين، وبالتالي مردوده إلى إنذار أهل مكة المعنيون بالخطاب في السورة الكريمة.

وقد جاء كل نبي بخطابه هنا مشتملا على الإبلاغ وبيان تفضل الله تعالى على قومه وبيان اعتراض القوم ودحض هذا الاعتراض كما يلي:

التعليق	دحض الاعتراض	الاعتراض	بيان النعم	الإبلاغ	النبي
نموذج حوار للملك الذي ادعى الألوهية والحاكم المتكبر الذي لجأ إلى القوة بعدما أعجزه الرد	قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنْ الصَّالِّينَ (٢٠) فَقَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١)	قَالَ أَلَمْ نُزَيِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَيِّبْتَ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنْ الْكَافِرِينَ (١٩)	فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)	فَأْتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسَلْنَا مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧)	سيدنا موسى عليه السلام
	قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ	قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣)			

	<p>وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)</p>			
	<p>قَالَ لئنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)</p>	<p>قَالَ أَوْلَوْ جِنَّتَكَ بِشْيءٍ مُّبِينٍ (٣٠)</p>		
	<p>قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١)</p>	<p>فَأَلْفَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ (٣٣)</p>		
	<p>فَأَلْفُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤)</p>	<p>فَأَلْفَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأَلْفَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا أَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧)</p>		
	<p>فَأَنْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْرُؤُونَ (٦١)</p>	<p>قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ</p>		

	فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَرْزُقْنَا نَّمَّ الْأَخْرِينَ (٦٤) وَأَنْحِينَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) نُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ (٦٦)				
نموذج للمحاجة العقلية المتدرجة، ونموذج	قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣)	قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاقِبِينَ (٧١)	الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمَيِّنُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)	وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠)	سيدنا إبراهيم عليه السلام
أيضا لمن يعترض على الإيمان بالله تعالى لأنه يسير على طريقة الآباء	قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ	قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)			

	(٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكَ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)				
سيدنا نوح عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٠٨)	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)	قَالُوا أَنْتُمْ مِنْ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ (١١١)	قَالَ وَمَا عَلِمِي مَعَ أَصْحَابِ الْجَاهِ الْمُسْتَكْبِرِينَ	نموذج لحوار مع أصحاب الجاه المستكبرين
	(١١٢) إِنْ جَسَابُكُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥)	قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِمَا نُوحُ لَنْتَكُونَنَّ مِنْ الْمَرْجُومِينَ (١١٦)	قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَجَنِّبِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنْجِنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ		

	<p>الْمَشْحُونِ (١١٩) نُمُّ أَعْرَفْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)</p>				
<p>نموذج لمن يعترض لأنه يسير على طريقة الآباء</p>	<p>فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَا هُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)</p>	<p>قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعِظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨)</p>	<p>وَمَا أَسْأَلُكُمْ مِنْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧) أَتَنْبُؤُونَ بِكُلِّ رَيْعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تُخْلَدُونَ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٣١) وَاتَّقُوا الَّذِي</p>	<p>إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٢٦)</p>	<p>سيدنا هود عليه السلام</p>

			<p>أَمَدُّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)</p> <p>أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣)</p> <p>وَجَنَاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ (١٣٥)</p>		
<p>نموذج لمن يعترض لبشرية الرسول مع تحدي الرسول</p>	<p>قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥٦) فَاعْقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا تَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨)</p>	<p>قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤)</p>	<p>وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتُنْكِرُونَ فِي مَا هَاهُنَا أَمِينٍ (١٤٦) فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ</p>	<p>إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ آلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤)</p>	<p>سيدنا صالح عليه السلام</p>

			(١٤٨) وَتَنْحَثُونَ مِنْ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَارِهِينَ (١٤٩)		
سيدنا لوط عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٦٣)	وَمَا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤) أَتَأْتُونَ الدُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رِجُلَكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦)	قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)	قَالَ رَبِّي اعْمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ لفساد أخلاقه ولا يريد أن يستجيب	نموذج لمن يعترض لفساد أخلاقه ولا يريد أن يستجيب
سيدنا شعيب عليه السلام	إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)	وَمَا أَسَأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا	قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ (١٨٥) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُنُّكَ لَمَنْ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	قَالَ رَبِّي اعْمَلِكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩)	نموذج لمن يعترض لبشرية الرسول مع تحدي الرسول

		(١٨٧)	تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولِينَ (١٨٤)	فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩)
--	--	-------	---	--

ويتضح من بيانات هذا الجدول أهمية بدء التذكير بخطاب سيدنا موسى لقومه؛ إذ التشابه بين اعتراضات فرعون ولحوقه سيدنا موسى إلى البحر ثم نجاة نبي الله؛ مع اعتراضات صنابير قريش ولحوقهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم في حادثة الهجرة ثم نجاته كما ترسمها الخطاطة الآتية:

محاورة ← اعتراض على عبادة الله ← تهديد ← مطاردة ← نجاة الرسول

وهذا يوضح أن البدء بحوار سيدنا موسى مع فرعون كان ضرورة يقتضيها المقام هنا؛ إذ هذا تبصير للرسول بما سيجابه به عند الجهر بالدعوة، ومعروف أن سوق الأحداث قبل حدوثها يقلل من وقعها على المحكي له حين وقوعها، ويكون عرض الأحداث هذا بمنزلة تصوير لما سيحدث بعد ذلك، وعليه يعد ما

حدث لسيدنا موسى مع فرعون وصفا لما سيحدث بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش عند الجهر بالدعوة، وإعلاما بما سيتم طرحه من قبل صنديد قريش قبل طرحه، وأنها أيها الرسول الكريم سوف تخرج من مكة مطاردا كما نقص عليك من نبا موسى وفرعون، وهذا التأويل يؤكد خبر "ورقة بن نوفل" حينما ذهب إليه الرسول الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - في صحبة السيدة العظمى "خديجة" - رضي الله عنها - يقص عليه ما ألم به في غار "حراء" فأخبره كما في الصحيح: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدًّا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"^(١)، وقد تحقق هذا يوم أخرج الرسول من مكة مهاجرا إلى المدينة المنورة.

وهذا المنهج الحكائي المستقبلي نعمة من نعم القرآن المباركة على نبي الإسلام وعلى أمة الإسلام؛ فنحن أهل القرآن نكاد نقف على ما سوف يحدث يوم القيامة خطوة بخطوة وحدثا بحدث من خلال سرد القرآن له في مواضعه المتعددة، حتى إن أحدا ليكاد يراه رأي العين من دقة الوصف الحكائي الذي جاءت به الآيات الكريمات.

ويكشف الحوار في المشهد الموسوي عن إحدى وظائفه الفنية وهي تحليل الشخصية وبيان سماتها وأفكارها؛ فالحوار يتيح للشخصيات أن تعبر عن نفسها"^(٢)، وفي أحاديث الشخصيات تتجلى سماتهم، وطبائعهم، ويكشفون أحيانا

(١) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ١ ص ١٣٩.

(٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر،

عن جزء من نياتهم، وهنا يكشف حوار سيدنا موسى مع فرعون سمات كل منهما؛ فسيدنا موسى استطاع أن يرد على اتهامات فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكَ الْتَى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ، وهذا يدل على موقف سيدنا موسى القوي إلى جانب موقف فرعون الذي ألجأه ضعفه بعد ذلك إلى أن ينزل عن مكانته ويجعل الملاء حوله هم الأمرين: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ، ثم يكشف الحوار عن تنامي ضعف فرعون ما جعل السحرة يشترطون عليه قبل تحدي سيدنا موسى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرٌ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ، ثم يأخذ الحوار في بيان تنامي الضعف عنده ما جعله يستعين بالناس: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذِهِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ ، وهكذا أدى الحوار هنا وظيفته في كشف تداخل موقف فرعون واضطرابه في الوقت الذي كشف عن تنامي موقف سيدنا موسى قوة وثقة، وفي هذا طمأنة لسيدنا محمد؛ فكما أن الله لم يترك نبيه موسى وجعله ينتصر على فرعون فلن يترك يا حبيبه وسينصرك على مشركي مكة.

وهذه القوة عند سيدنا موسى جعلته يقترح أدلة على صدق دعوته أمام فرعون: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ وقد كان الدليل من جنس ما يحسن القوم وهو السحر: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِنَا هِيَ تُعَبَانُ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ ،

وذلك حتى يكون أشد تأثيرا على الناس، وهذا ما سوف يفعله سيدنا محمد عندما تحدى قومه في غير موضع من سور القرآن الكريم: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ "البقرة (٢٣)"، واقتراح الأدلة دليل على قوة موقف المقترح وتحد ظاهر للمقترح عليهم.

كما كشف تنامي الحوار هنا عن تبدل موقف السحرة الذين جاءوا وكلهم ثقة في الفوز على سيدنا موسى وإبهار الناس المجتمعين بما سيأتون من السحر، ما جعلهم يشترطون الأجر على فرعون وهذا الاشتراط لا يأتي إلا ممن هو واثق من عمل يده، إلا أنهم سرعان ما تبدل موقفهم وتراجعوا عما هم فيه من الكبر والعنت بعدما ألقى سيدنا موسى عصاه: ﴿فَأَلْقُوا جَاهَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِيُونَ﴾ ٤٤ ﴿فَأَلْفَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ٤٥ ﴿فَأَلْفَىٰ السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ ٤٦ ﴿قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٧ ، إذ وجدوا الحقيقة وليس السحر الذي يصنعون، وهذا التبدل الإيماني جعلهم لا يابيهون لتهديد فرعون: ﴿قَالَ ءَأَمْسُتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي لَمَّا عَلِمْتُمْ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْمُونَ ۚ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ۖ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٤٩ ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۚ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ٥٠ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا ۚ إِنَّ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥١ ، فقد وقر الإيمان في قلوبهم ما جعلهم يقدمون إيمانهم سببا للمغفرة وعضوا عما يلقون من فرعون.

ومما يدل على تمام الثقة بالله تعالى في حوار سيدنا موسى مع من آمن معه أنه عليه السلام كان مطمئنا لنصر الله تعالى له سريعا في الرد على الخائفين: ﴿فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالَ كَلَّا ۚ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ٦٢ ، فإذا كان فرعون وقومه في طلبهم فإن الله تعالى معه وسيهديه إلى طريق النجاة حتما، ويدل لفظ "كلا" هنا على تمام الثقة بالله تعالى فهو ينفي كل شك ويزيل كل ارتياب لديهم.

وأما سيدنا إبراهيم -عليه السلام- فجاء خطابه عقليا قائما على أسلوب

الاستفهام المتدرج: ما تعبدون؟ هل يسمعونكم؟ أو ينفعونكم أو يضررونكم؟ فهنا نجد أن الخطاب يبطل عبادتهم عمليا وعقليا؛ إذ هذه الأسئلة المتتالية تحوج المتلقي إلى الرجوع إلى نفسه بالتفكير في أمره وعبادته تلك، وهذا يبين أن ذكر حوار سيدنا "إبراهيم" هنا أيضا كان ضرورة اقتضاها السياق القرآني لأن هذا الخطاب سيكون هو هو الخطاب الموجه لقريش التي كانت حينئذ تعبد الأصنام أيضا.

ولم يذكر الحوار الإبراهيمي هنا مشهد محاكاة النمرود مع سيدنا إبراهيم كما جاء في سورة البقرة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْحَمِيمِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِيهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ وذلك لأن حوار الملك الذي يدعي الألوهية قد مر في مشهد سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون في المشهد السابق للمشهد الإبراهيمي من السورة نفسها إذ قال فرعون: ﴿قَالَ لَيْنِ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٦١﴾﴾ فالغاية من وراء هذا الحوار قد حصلت من المشهد الفائت فلا داعي لتكراره هنا؛ فالمقصود هو تقديم النموذج وقد قدم.

ولعل تقديم حوار سيدنا "إبراهيم" مع قومه على حوار الأنبياء: "نوح وهود وصالح" عليهم السلام لأن زمانه كان الأقرب لزمن الرسول الكريم محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - منهم، وكانت قريش تفتخر بأنها ذرية ولده "إسماعيل" عليه السلام، كما ألمح الإمام "البقاعي" إلى أمر مهم هنا في الحوار الإبراهيمي وهو أن الله تعالى هنا لم يذكر عاقبة الإهلاك كما ذكر في بقية الحوارات: "إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه العرب في الإمهال كما رفق بهم في الإنزال والإرسال"^(١)،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ

وهذا عامل من عوامل الاتصال المعنوي مع الخطاب المحمدي يضاف إلى ما سبق ذكره في الحبك المعنوي.

وأما نبي الله "نوح" عليه السلام فقد عبد قومه الأصنام يقول تعالى مخبرا

بـ ذلك: ﴿ وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتَاكُمُ وَلَا نَذَرُكَ وَدَا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢٣)

[سورة نوح: ٢٣]، كما أن قريش كانت تعبد الأصنام؛ أي الحاجة في المعبود

واحدة هنا، كما أن احتجاج قوم نوح على نبيهم في أتباعه هو هو احتجاج قريش

على رسولنا الكريم في أتباعه؛ فقوم نوح استكفوا أن يجاوروا من هم أقل منهم

مكانة في اتباع النبي فقالوا: ﴿ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَزْدَلُونَ ﴾ (١١٣) وقريش قالت

للسول الأمر ذاته؛ ففي سنن ابن ماجه: "جاء الأقرع بن حابس التميمي وعينية

بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال

وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي

صلى الله عليه وسلم حقروهم فأتوه فخلوا به وقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك

مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا

العرب مع هذه الأعداء، فإذا نحن جنناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم

إن شئت" (١)، ولذا صدر الأمر الإلهي للنبي محمد: ﴿ وَلَا تَطْرُقُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ

الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام ٥٢) كما صدر الأمر الإلهي للنبي نوح بعدم طرد

المؤمنين ما جعله يقول: ﴿ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٣) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ .

وأما أنبياء الله تعالى: "هود وصالح ولوط وشعيب" عليهم السلام فقد

عبدت أقوامهم الأصنام أيضا؛ فقوم عاد كانوا يعبدون الأصنام، واتخذوا من ثلاثة

(١) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

أصنام آلهة لهم قال صاحب الكشاف: "وكانت لهم أصنام يعبدونها . صداء، وصمود، والهباء، فبعث الله إليهم هوداً نبياً"^(١)، وقوم ثمود ولوط ومدين كذلك عبدوا الأصنام، وليس أدل على أن هؤلاء الأقوام جميعاً كانوا يعبدون آلهة من دون الله من الخطاب الذي جاء على لسان كل نبي يدعوهم فيه إلى عبادة الله الواحد الأحد:

- فقد قال نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

- وقال نبي الله هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥].

- وقال نبي الله صالح عليه السلام: ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣].

- وقال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ .. ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

فهذه الآيات المباركات توضح أن هؤلاء الأقوام كانوا يعبدون الأصنام أو غير الأصنام من دون الله تعالى، فجاء الأمر في سورة الأعراف بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وجاء الأمر هنا في سورة الشعراء بتقوى الله تعالى فقد قال كل نبي لقومه: "أَلَا تَتَّقُونَ" التي اختص ذكرها في السورة الكريمة خمس مرات من أصل ست مرات في القرآن الكريم كله، ولا تنافي بين الأمر بالعبادة والأمر

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٢ ص ١٢٢.

بالتقوى إذ هما في هذا السياق معنيان لمدلول واحد، وقد قرن الله بينهما في كثير من آياته الكريمات من مثل قوله في سورة "نوح": ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۝٣ ﴾ ، أو من مثل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٦١ ﴾ .

وقد جاء حوار سيدنا هود مع قومه كاشفا عن موطن من مواطن العظة لقريش؛ فقد كانت عاد تسكن قريبا منهم بين عمان وحضرموت، تلك الأراضي التي هي مناطق رملية لا نماء بها بعد أن كنت من أخصب الأراضي وأوفرها، كما حكى القرآن الكريم وأنها كانت موطن مجاري الماء: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَابِينَ ۝١٣٠ ﴾ فهذا نموذج للحوار مع أولي القوة والنماء، لكنهم استخفوا بكلام نبي الله هود عليه السلام وادعوا ان هذا خلق الأولين، فكان جزاء تكذيبهم أن أهلكهم الله تعالى بريح صرصر في أيام نحسات.

وأما خطاب سيدنا صالح لقومه فيقدم نموذج الحوار مع من يتبعون الضلال ويسيروا وراء الكبراء دون تمييز أو تعقل: ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۝١٥١ ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۝١٥٢ ﴾ ، وفي هذا من الشبه مع أهل مكة ما فيه؛ إذ أخذت كبراء مكة العزة بالإثم وتبعهم كثير من الناس، وهذا الخطاب القرآني يحذر هؤلاء من أن يسيروا وراء كبرائهم وأن يتعقلوا ما مرّ من أنباء الأمم السابقة حتى ينفذوا أنفسهم من العذاب الذي حلّ بمن سبقهم.

وجاء خطاب سيدنا لوط لقومه ليعبر عن أن دعوة الأنبياء تبتغي العفاف لأصحابها وأنها تنتشد الارتقاء بهم إلى مصاف أفضل البشر باتباع ما أنزل الله تعالى، وتأبى لأتباعها أن يكون بهم شذوذ عن الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها فيقول تعالى: ﴿ آتَاتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَلَمِينَ ۝١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مَنْ أَرْزَقَكُمْ بِهِ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝١٦٦ ﴾ ، وقد جاء الخطاب هنا لأن قريشا كانت إذا أرادت

الخروج إلى الشام تمر على ديار قوم لوط، وقد أخبر الله تعالى بذلك في سورة الصافات ناصا على أخذ العبرة: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَنُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمْ مُّصِحِّينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ، فقوله تعالى "أفلا تعقلون" حث على التعقل وأخذ العبرة ممن سبقهم، فهذه الديار كانت معمورة بأهل لوط والآن غارت هذه القرية في الأرض وأصبح باطنها مقلوبا على ظاهرها كما حكى القرآن الكريم في سورة الحجر: ﴿ فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ، ولا شك أن مرور قريش على باقي القرية المندثرة يعطيها عظة وعبرة من الأحداث التي حصلت لهذه القرية ولذا جاء مشهد سيدنا لوط مع قومه هنا في معرض الجهر بالدعوة.

وجاء حوار سيدنا شعيب مع قومه ليقدم الخطاب الموجه للتجار الذين يطففون الكيل والميزان ويأتون بأنواع المفاصد الموجبة للهلاك: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ ، فحالهم كحال كفار قريش الذين توعدهم الله بالويل على تطفيفهم الكيل فقال تعالى مفتتحا سورة المطففين: "ويل للمطففين".

وإن حشد هذه المشاهد في هذه السورة الكريمة هو من باب الإنذار الذي ينطوي تحت قوله تعالى: "وأنذر عشيرتك" ففي هذه المشاهد من العبر والعظات ما يقدم الحجج الداعمة للدعوة المحمدية؛ إذ الإخبار بأنباء الأمم السابقة دون اختلاف الرسول إلى معلم قبل ذلك فيه دلالة على أن هذا القرآن من عند الله تعالى ولذلك عقب الله تعالى على مشاهد الأنبياء بقوله مؤكدا أن القرآن من عنده تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ، وفي الوقت ذاته هو إنذار لكفار مكة بالعذاب الذي سيحل بهم إذا رفضوا الدعوة كما حلّ بالأمم التي قبلهم حين رفضوا دعوة أنبيائهم.

أما خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقومه فجاء كلاميا بيانيا وتمثل في القرآن الكريم، وجاء الخطاب هنا متفرقا على جزأين؛ جزء افتتحت به السورة،

وجزه اختتمت به وبينهما جاء خطاب الأنبياء السابقين إلى أقوامهم، وفي هذا دلالة على أن هذا خطاب الأنبياء إنما هو استشهاد على ما جاء به الخطاب المحمدي، وكما أنه تسليية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين معه فهو في الوقت ذاته زجر للمشركين؛ إذ هو عرض لما يترتب على تكذيب دعوة الرسول من فناء في الدنيا وخسران في الآخرة، كما أن فيه أيضا تثبيتا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان: ٣٢).

كما نلاحظ من الجدول الفأنت أن السورة الكريمة عرضت لحوارات الأنبياء السابقين مع أقوامهم فقط دون التعرض لتفاصيل حيواتهم؛ إذ المناط هنا ليس معرفة حيواتهم وتفاصيلها لكن المناط هنا هو الوقوف على معرفة كيفية الإبلاغ وطرقه المتباينة، وهذا يدلنا على أن "القصة في القرآن الكريم تمتزج بموضوعاته امتزاجا عضويا لا يدع مجالاً للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، بل إن القصة تجيء أبدا في معرض الاستشهاد على الأمر الذي تعرض له السورة"^(١)، مما يجعل القصص هنا دوالا معنويا تمتن العلاقة بين جزئيات السورة الكريمة.

كما يدل الجدول الفأنت على أن البناء الأساس لسورة الشعراء قائم على أسلوب الحوار؛ ومما يرشح ذلك أننا نجد الفعل "قال" تكرر اثنتين وثلاثين مرة وتكرر ثلاث عشرة مرة بلفظ "قالوا" وتكرر مرتين بلفظ "قيل" وجاء مرة بلفظ "قل" ومرة بلفظ "قولا" ومرة بلفظ "يقولون"، وتظهر الألفاظ التي يخاطب الله تعالى بها رسولنا محمدا منداحة في السورة كلها ومنها: "علك، وإذ التي تأويلها واذكر إذ،

(١) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الطواهري، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ

واتل عليهم، على قلبك لتكون، أفرايت،" مما يجعل الحوارية مهيمنة على بناء السورة الكريمة.

ومما يرشح الأسلوب الحوارى من مبدأ السورة الكريمة أيضا رأي "ابن عجيبة" في بحره المديد إذ يرى أن "طسم" هي مختصرات لأسماء الرسول فيقول: "يقول الحق جل جلاله : {طسم} أي : يا طاهر ، يا سيد ، يا محمد ، أو : أيها الطاهر السيد المجيد"^(١) وعلى هذا الرأي تمثل تلك الحروف نداء من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا يتضح أن هيمنة الأسلوب الحوارى على مسار السورة تمثل فيما يأتي:

أولاً: خطاب من الله تعالى لرسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿ طَسَمَ ۙ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَنِعُّ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۗ (٣) ﴾ وقية
بيان بإعجاز القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى، ومن دلائل ذلك "طسم" تلك الحروف المقطعة -التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى- التي تبين أن سيدنا محمدا الذي لا يعرف القراءة والكتابة لا يؤاتيه أن يقول تلك الحروف المقطعة من عنده وأنها لا بد أن تكون من عند الله تعالى؛ إذ هي تنطق حروف على نية الاتصال وليس على نية الانفصال أي أن منشئها يدرك معانيها وليس فقط مدلولها اللفظي.

ثانياً: سرد محاورات بعض الأنبياء السابقين عليهم السلام مع أقوامهم

الذين تشابهت عبادتهم أو حججهم مع عبادة مشركي مكة وحججهم، وهذا السرد جاء ليؤكد حقيقة راسخة وهي أن: "سورة الشعراء حديث عن الرسل والرسالة، ولذلك جاء القصص فيها ليعالج أصلاً من أصول الدين، وهو الإيمان بالرسول، ويقرر حقيقة واحدة هي: اتفاق الأنبياء عليهم السلام على دين واحد، ودعوة

(١) البحر المديد، ج ٥ ص ٢٣٣.

واحدة هي الدعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له، والخلوص من الشرك^(١)، وهذا مما يبين وظيفة من وظائف حوار الرسل عليهم السلام مع أقوامهم.

ثالثاً: العودة إلى الخطاب الإلهي الموجه للرسول صلى الله عليه وآله

وسلم - في ختام السورة بداية من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ﴿١١٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٥﴾ ، وممتدا إلى نهاية السورة الكريمة.

(١) سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في البلاغة

إعداد/ فوزية بنت مسفر بن سلمى المطيري، إشراف الدكتور: محمد بن سعد الدبل، العام

الجامعي ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ، ص ٣٤١.

المبحث الرابع: التناسب:

١- تعالق العنوان مع موضوع السورة:

إن العنوان هو الجسر الذي يعبر عليه القارئ إلى السورة، لذا لا بد من وجود خيوط تربط بينه وبين ماهية أحداث السورة ليحدث الارتباط بينها لفظياً ومعنوياً وليمتثل بنية وسيطة بين داخل السورة وخارجها، وقد وضع الله -تعالى- عنواناً لكل سورة يتعالق مع أحداثها، ويدل عليها، وقد تبين من العرض الفائق أن سورة الشعراء تمثل الوحدة القرآنية في أوضح صورها وأتم مقاصدها، كما تبين أن الموضوعات المتنوعة في قالب واحد هي الجداول المناسبة التي تصب في محيط السورة العميق، وأنها بهذا تكون أشد وقعا من الموضوعات المنفردة التي تشبه الجداول المنفصلة التي لا مورد لها يغذيها ولا مجمع لها يقويها، والتحليل اللغوي للعنوان يفيد معنى البيان والعلم؛ إذ يقول ابن سيده في مخصصه: "شَعَرَ بالشيء: عَلِمَ وشَعَرَ الرجل: صار شاعراً وأشعرته بالأمر: أَعَلَّمْتَهُ"^(١)، والعنوان بهذا المعنى اللغوي يتناسب مع موضوع السورة الذي هو الإعلام بالإسلام والإعلام بمواقف الأنبياء السابقين مع أقوامهم، كما يتناسب مع حديث السورة عن فئة الشعراء كما جاء في ختامها؛ فقد عنيت سورة الشعراء بعرض قضية الإيمان على أهل مكة الذين يعلون من شأن الشعر وأهله، فكان من الطبيعي أن تتضمن السورة الكريمة حديثاً عن الشعراء الذين يثق الناس في رؤيتهم كما وثق فرعون ومن معه في السحرة، ولعل هذا من تعليقات افتتاح المشاهد النبوية بمشهد سيدنا موسى -عليه السلام-، فكان التعريض بالفئة الباغية منهم في ختام السورة بمنزلة التحدي لهؤلاء الشعراء في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم؛ فالشعراء الذين

(١) المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، كتاب الأفعال والمصادر.

هم أقدر الناس على التحدي، وهذا لما يفسر لنا وجود هذا القصص هنا فقد سبق أن تحدى كل نبي قومه وأظهر لهم من الآيات ما يدل على صدق رسالته كما فعل سيدنا موسى عليه السلام في حوارهِ مع فرعون وسيدنا إبراهيم في حوارهِ مع قومه وبقية الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

كما أن ذكر الشعراء هنا ينص على أن القرآن ضرب من الكلام يخالف كلامهم الذي يعرفه العرب جميعاً، وبأن حال النبي يخالف حالهم من حيث القول والفعل؛ فإن كان الشعر كذباً لا قرينة على مراد صاحبه فهو قبيح، وإن كان عليه قرينة كان كذباً معتدراً عنه فكان غير محمود، وفي هذا إبداء للّبون الشاسع بين حال الشعراء وحال النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي كان لا يقول إلا حقاً ولا يصانع ولا يأتي بما يضلّل الأفهام^(١).

وقد جاء ذكر الشعراء بعد نفي الكهانة عنه ليدل على نفي الصفتين عنه يقول الإمام "ابن عجيبة": "ولما ذكر الكهنة ذكر الشعراء وحالهم ؛ لينبه على بُعد كلامهم من كلام القرآن، فينتفي كونه كهانة وشعراً، كما قيل فيه"^(٢)، وهكذا نجد أن ذكر الشعراء والشياطين الذين يتنزلون بالإفك على أوليائهم مرتبط بموضوع السورة ارتباطاً عضوياً؛ إذ ذكرهم بالذم هنا هو نفي لاتصافه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون واحداً منهم، ونفي لأن يكون ما جاء به ضرباً من أقاويلهم الكاذبة وتهويماتهم الخادعة؛ "ككيف يتوهم أن ينتظم في سلوكهم من تنزهت ساحته عن أن تحوم حوله شائبة الاتصافِ بشيء من الأمور المذكورة، واتصف بمحاسن الصفات الجليلة، والأخلاق الحميدة"^(٣)، وقد فصلت السورة أمر الكهان أكثر من ذكر الشعراء وذلك لأن أمر الكهانة أمر خفي قد ينطلي على ضعفاء

(١) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢١٠.

(٢) البحر المديد ج ٥ ص ٢٩٨.

(٣) البحر المديد ج ٥ ص ٢٩٩.

العقول؛ وذلك أنهم يحسنون إيهام الناس بمعرفتهم الغيب، ويسجعون في كلامهم ببديع يأخذ الأسماع ويبهر العقول، ولذلك بادر القرآن الكريم بعرض أمرهم على الناس قبل أن يسألوا عن أمرهم بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَزَلُّ الشَّيَاطِينُ ﴾^(١)، كما بادر بالرد قبل أن يكون هناك إذن بالرد من المتلقين: ﴿ تَزَلُّ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴾^(٢)، أما أمر الشعراء فكلامهم المقيد بالأوزان والقوافي يخالف كلام القرآن والفروق بينهما بيّنة لا تحتاج لتفصيل.

ومما يتناسب مع ارتباط ذكر الشعر والكهانة في خواتيم السورة التي فيها أمر بالجهر وعرض الإيمان على أهل مكة أن العلاقة قائمة في خيال المشركين بين الكهانة والشعر؛ "إذ كانوا يزعمون أن للشاعر شيطاناً يملي عليه الشعر وربما سموه الرئي، فناسب أن يقارن بين تزييف قولهم في القرآن: هو شعر، وقولهم في النبي (صلى الله عليه وسلم) هو شاعر، وبين قولهم: هو قول كاهن، كما قرن بينهما في قوله تعالى: (وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ولا بقول كاهنٍ قليلاً ما تذكرون) (الحاقة: ٤١ ، ٤٢)"^(١)، وبهذا الذكر في هذا الموضع يتبين مخالفة القرآن لكلا الأمرين وأن الرسول بريء من كلتا الصفتين.

وإن ارتباط العنوان بمحتوى السورة يجعله باعنا على التخيل، ويحيل إلى مدلولات النص الأدبي من حيث فكرة النص وموضوعه وأثره، وقد فقه قداماؤنا وظيفة العنوان ومدلولاته حين عرفوا العنوان بكلمات: القصد، والأثر، والسمة، والتعريض^(٢)، تلك الكلمات التي تدل على وظائف العنوان، مما حدا د. "الجزار" أن يصف هذه الكلمات بأنها أقرب إلى المعنى الاصطلاحي منها إلى المعنى

(١) التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٢٠٧.

(٢) ينظر مادة "عنن" ومادة "عني" القاموس المحيط، ولسان العرب، والمعجم الوسيط، وتاج العروس.

اللغوي فيقول: "إن ما أورده المعجم لها من دلالة، أزعج أنها تكاد تكون اصطلاحية أكثر منها لغوية، فقول ابن سيده السابق إن العنوان "سمة الكتاب" يقطع بين الكلمة والثقافة الشفاهية التي كانت أساس حركة الجمع اللغوي بشروطها الثلاثة الزمانية والمكانية والثقافية"^(١)، وهكذا فقه علماءنا القدامى أهمية العنوان اصطلاحاً من حيث احتواء النص أو الإيحاء بما لم يقله النص، كما أشاروا إلى وظائفه المتعددة وإن لم ينصوا على ذلك بصورة صريحة، لكن كلماتهم وتعريفهم توحى بذلك، وهذا ما نجده في اسم السورة الكريمة من دلالاته على تحدي هذه الفئة والتعريض بعجزهم عن الإتيان بمثله، وأنه يشير من طرف ظاهر إلى أهل مكة أن اذهبوا إلى الشعراء فاسألوهم عن هذا القرآن إن كان من كلام يستطيعه البشر أم أنه من كلام الإله القادر، واسألوهم هل حال الرسول من حالهم أو أنه حال يختلف عن حالهم؟!.

وإذا أردنا أن نحلل عنوان السورة لغوياً فإن الجملة لا تتكون من مفردة واحدة بل لابد أن يقترن معها ما يجعلها جملة وإن كان هذا المقترن مستتراً أو محذوفاً، فإذا ذكر في العنوان مفردة واحدة فهي حينئذ تختزن معها من المفردات ما يجعلها صالحة لكي تؤدي وظيفة العنوان وحينئذ يستدعي الذهن كل ما ارتبط بعناصر هذا العنوان، وهذا الاستدعاء مرتبط بتكثيف الدلالات القارة في ذهن كل قارئ حول هذه المفردة، والذاكرة النموذجية تعمل على جمع شتات المعاني وبخاصة المعاني المستقاة من الناحية التأويلية المحتجبة لمحتوى السورة، وكل هذا يوضح الصورة المتخيلة لدي صاحب هذه الذاكرة عن مفردة العنوان، وعنواننا هنا مكون من مفردة واحدة هي "الشعراء" وعلى هذا يجب أن نفتح الباب

(١) العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة

للتأويل الذي يضيف إليها ما يحيلها جملة صالحة لأداء وظيفة العنوان، والتأويل هنا ممكن أن يجعلها: هذه سورة التحدي للشعراء، وهذه سورة مفارقة القرآن للشعراء، وهذه سورة براءة الرسول من الشعراء، وهذه سورة تباين الشعراء، أو غير ذلك مما يرتبط بمحتوى السورة، وكل التأويلات يحكم بصحتها متى كانت موافقة لمضمون السورة الكريمة، وعند دراسة محتوى السورة سيتبين لنا صحة كل هذه التأويلات الفاتنة لارتباطها بمضمون السورة التي تحدثت عن الشعراء وموقفهم المتباين.

والإيجاز في العنوان يثمر في تداعي هذه المعاني التأويلية التي تمتح من معلومات القارئ، وعليه فإن هذا الإيجاز يعمل على أن تتسع شبكة المفردات والمعاني التي يتعالق معها هذا العنوان؛ فحذف بعض أجزائه يعطي العمومية التي تعدد العلاقات الرابطة بينه وبين التأويلات المتنوعة التي يتفتق عنها ذهن المتلقي، وقد فقه علماؤنا القدامى هذا الملحظ إذ يقول الإمام "عبد القاهر" مقدماً لباب "الحذف": "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين"^(١)، فالحذف هنا داعٍ من دواعي العموم؛ إذ النص على دالة لغوية محددة يحجب باقي الدوال التي يمكن أن تتماس مع بنية العنوان، وتركها يتيح لبنية العنوان أن تنفتح آفاقها على دوال متعددة؛ مما يزيد من فرص التأويل وتفاوته بتفاوت كل قارئ وربما استدرك اللاحق ما فات على السابق، وحينما نقرأ العنوان "الشعراء" تنهال على ذهننا مجموعة من الأسئلة مرتبطة بتأويلات العنوان في ذهن كل قارئ ومنها: لماذا يسمى القرآن سورة باسم الشعراء في حين أنه في غير موضع

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.

ينفي أن يكون القرآن شعراً؟! وماذا عسى أن تتحدث عنه سورة الشعراء؟! فإذا تقدمت بنا القراءة ووجدنا مفتاح السورة يحكي عن تكذيب غالب أهل مكة للوحي الإلهي وكذلك تكذيب أقوام الأنبياء السابقين للوحي الإلهي يطل على ذهننا أسئلة أخرى منها: ما علاقة هذا التكذيب بالشعراء؟! ويظل القارئ في شوق لمعرفة سبب تسمية السورة بالشعراء إلى أن يجد في خواتيمها ما يبتغيه، لكنه يجد السورة تبين أن الشعراء فئتان؛ فئة مؤمنة آمنت وعرفت أنه كلام الله وأنه ليس من كلام البشر وهم أخبر الناس بكلام البشر، وفئة غاوية لم تؤمن وأنكرت وهذه هي الفئة الضالة التي تهيم في كل واد وتفعل ما لا تقول، وتقول خلاف ما تعتقد؛ فهذه الفئة بوصفها شعراء تعرف أن القرآن ليس من كلام البشر ومع ذلك تنكر ذلك، وعندئذ يعيد في ذهنه ما قرأ من السورة الكريمة فيجد أن الناس قد انقسموا تجاه أنبيائهم فئتين أيضاً؛ فئة مؤمنة آمنت بأنبياء الله، وفئة غاوية صدت عن دعوة الأنبياء.

وبهذا أشار تكثيف العنوان هنا إلى ماهية الأحداث التي تتوجه بدورها وتشير إلى الأبعاد التي تقصدها السورة الكريمة من تسليية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإنذار أهل مكة، ورسم الصورة المترتبة على إبلاغ الرسول الدعوة لقومه، ونفي الكهانة والشعر عن القرآن الكريم وأنه من عند الله تعالى:

عنوان ← أحداث ← أبعاد

وقد عزا كثير من المفسرين سبب تسمية سورة الشعراء بهذا الاسم لأنها هي السورة الوحيدة التي ذكر فيها لفظة الشعراء^(١)، ولأنها اختتمت بالحديث عن طائفتي الشعراء؛ الغاوين والمؤمنين، إلا أنه لا بد من وجوه أخرى يمكن أن تتضام مع ما سبق في سبب التسمية ومنها:

(١) ينظر التحرير والتنوير ج ١٩ ص ٨٩،

أن هناك علاقة بين ذكر الشعراء وحالهم وافتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة: "طسم" التي اجتهد المفسرون في تأويلها ونهاية المطاف فيها أنها إعجاز من إعجاز القرآن الكريم، وأنها تحدٍ لمشركي مكة وعلى رأسهم الشعراء الذين يناط بهم التحدي أكثر من غيرهم؛ فالله عز وجل أتى بهذه الحروف بياناً للناس جميعاً أن القرآن من جنس هذه الحروف التي تتكلمون وتتلقون بها، فأتوا بسورة من مثله إن استطعتم إلى ذلك سبيلاً، فهو تعجيز منه سبحانه لخلقهم.

وقيل إن هذه الحروف المقطعة التي في أوائل السور هي مسميات للسور، فتسمى السورة بها، فيقال: سورة طسم الشعراء، كما أنها: "افتتاح للسور لشد انتباه الكفار؛ لأنهم لم يعودوا على هذا الشيء، فعندما يقول: الم، فإنهم يسمعون للذي يقول، ويسمعون لهذا الكلام الغريب، فيتلوا عليهم بعد ذلك هذا القرآن العظيم، ولذلك لا يذكر في هذا القرآن العظيم فواتح للسور مثل: الم، الر، طسم، طس، حم، وغيرها من الفواتح إلا ويذكر بعدها إشارة لهذا القرآن العظيم، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿الْم ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ ، وكما قال في سورة آل عمران: ﴿الْم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢ زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ ۝٣﴾ ، وقال هنا: ﴿طسّم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ ، فكانه يشد انتباه هؤلاء بحروف لا يفهمون معناها؛ من أجل أن يتعرفوا ما هو المقصود، فإذا سمعوا ذكر لهم ما يريده منهم هذا القرآن العظيم" (١).

وهناك ملمح يجب الالتفات إليه عند البحث عن سبب اختتام السورة بالحديث عن الشعراء وتسميتها بهذا الاسم؛ وهو أن الشعراء جميعاً يتفقون فيما يتفقون على أن شعرهم يبحث أول ما يبحث عن التأثير في المتلقين بتحريك الشعور وإثارة الوجدان، وعند النظر فيه نجد أن بعضه قد يحتوي فكرة جيدة،

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣ ص ٨٨.

وبعضه قد لا يحمل تلك الفكرة الجيدة بل يكون ضرباً من الهزل أو من الفحش أو من الكفر، ولهذا نبهت السورة الكريمة بعدما ساقنت مشاهد محكمة العاطفة والفكرة والنغم على افتراق أسلوب القرآن عن أسلوب الشعراء الذين هم على طائفتين؛ طائفة وصفها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ وهؤلاء يلقون شعرهم غير عابئين بما فيه من الكلام الفاحش الذي يهيج الغرائز ويرمي المحصنات الغافلات بغير ما اكتسبن، أو على حد تعبير الإمام "محمد عبدالله دراز": "لا يبالون بما صوروه لك أن يكون غياً أو رشداً، وأن يكون حقيقة أو تخيلاً، فتراهم جادين وهم هازلون، يستبكون وإن كانوا لا يبكون"^(١)، وهو شعر في حقيقة أمرهم لا يصدر في أغلب أحوالهم عن فعل مارسوه بل صدر عن خيال واهم مريض، وطائفة أخرى وصفها بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ وهؤلاء الذين أُرشدوا إلى أقرب النقاط من البلاغة العربية الصحيحة والفكرة السديدة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، لكن أسلوبهم في الحاليتين لم يطرد على نظام جيد محكم؛ بل نجد في شعرهم ما لا يرقى إلى هذا المستوى ويمكن الاستئناس هنا بما أخذه "الباقلاني" في "إعجاز القرآن" على فحول الشعراء وهم من هم في الفصاحة والبيان إذ يقول: "وقد علمت أن كلام فصحاءهم وشعر بلغائهم لا ينفك من تصرف في غريب مستنكر أو وحشي مستكره ومعان مستبعدة ثم عدولهم إلى كلام مبتذل وضع لا يوجد دونه في الرتبة ثم تحولهم إلى كلام معتدل بين الأمرين متصرف بين المنزلتين فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة امرئ القيس"^(٢)، ثم أخذ رحمه الله تعالى ينقد معلقة امرئ القيس

(١) النبا العظيم، ص ١٤٤.

(٢) إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة،

بيتا بيتا ولفظة لفظة وصورة صورة وتركيبا تركيبا في اثنتين وعشرين صفحة^(١)، وبين كيف أن هذا الكلام الذي يضرب به المثل في البلاغة للشعراء المتقدمين والمتأخرين تفاوت نظمه إجادة وتكلفا بل وابتدالا، وقال مقارنا بين القرآن الكريم وأسلوب الشعراء: "وقد بينا لك أن هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتا بينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والاستصعاب والتسهل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها، ولا سواء كلام ينحت من الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الأهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب وفي بهجته ورويقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفه متحد ومتباعده متقارب وشارده مطيع ومطيعه شارده.."^(٢)، أما أسلوب القرآن الكريم فقد اطرقت آياته على نظام واحد ورصف متساوٍ يحمل أسمى العواطف وأرقى الأفكار دون أن يختل هذا القرآن العظيم في أي جزء من أجزائه، وبهذا يكون العنوان هنا دليلا على تباين أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الشعراء.

٢- تناسب السورة في نفسها:

ارتبطت آيات سورة الشعراء ارتباطا وثيقا؛ فأولها يأخذ بآخرها في انسجام بديع وقران معجز، فقد افتتحت السورة بالحديث عن القرآن الكريم: ﴿طَسَمَ ۙ تَلَكَّ ۙ ءَايَاتُ ۙ الْكِتَابِ ۙ الْبَيِّنَاتِ ۙ لِقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۙ﴾ كما اختتمت بالعودة إلى الحديث عن القرآن الكريم أيضا: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۙ فَذَكِّرْ ۙ لَوْلَا كَلِمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ لَفَ لَنَزَلَتْ بِكَ السُّورَةُ ۙ فَذَكِّرْ ۙ لَوْلَا كَلِمَةٌ مِّنْ رَبِّكَ لَفَ لَنَزَلَتْ بِكَ السُّورَةُ ۙ فَذَكِّرْ ۙ﴾

(١) من ص ١٦٠ : ١٨٢ من كتابه إعجاز القرآن.

(٢) إعجاز القرآن ص ١٨٢ وما تليها.

بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴿١﴾ ، ثم تحدثت السورة عن إعراض المشركين عن القرآن الكريم وأن الله سوف يسوق لهم الجزاء على صدهم وإعراضهم: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزَلِّ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾﴾ واختتمت السورة كذلك ببيان هذا الجزاء لمن صد وأعرض عن دعوة الإيمان بالله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ ، وهذا إحكام من إحكامات القرآن الكريم التي تفرد بها الكتاب العزيز الذي مهما طالأت آيات السورة الواحدة فيه فإنها لا تخرج عن المسار الرئيس للسورة القرآنية، وبهذا تتجلى الوحدة القرآنية في أتم صورها وأجلى بيانها.

٣- تناسب السورة في موضعها:

(أ) مصحفياً: ومن تمام الوحدة القرآنية في سورة الشعراء أنها ذات طرفين؛ طرف متشابهك بسورة الفرقان" التي قبلها وطرف ممسك بسورة النمل" التي بعدها، وبهذا تكون السورة الكريمة قد تعالقت بما قبلها وما بعدها تعالق الجزء بالكل، فالقرآن كله عروة واحدة ونسيج واحد، ويقول الإمام "البقاعي" متحدثاً عن ارتباط سورة "الشعراء" بسورة "الفرقان" التي قبلها: "مقصودها أن هذا الكتاب بين في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، ومن ذلك بيان آخر التي قبلها بتفصيلهن وتنزيله على أحوال الأمم وتمثيله، وتسكين أسفه (صلى الله عليه وسلم) خوفاً من أن يعم أمته الهوان بعدم الإيمان، وأن يشتد قسدهم لاتباعه بالأذى والعدوان بما تفهمه من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من

(١) ينظر: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م، ص ٣٩.

علم منه دوام العصيان، ورحمة من أراده للهداية والإحسان"^(١)، كما أن سورة الشعراء ترتبط ارتباطاً وثيقاً بجارتها سورة الفرقان من حيث تناسب موضوع سورة الشعراء وهو الجهر بالإسلام واسم الفرقان الذي يفرق به الله بين الحق والباطل، بين المؤمن والكافر، ويضاف إلى ذلك من وجوه الارتباط بين السورتين ما مرّ بيانه في دراسة "الاسترجاع الزمني" من أن ترتيب قصص الأنبياء هنا في سورة "الشعراء" جاء على ترتيب ذكرهم في سورة "الفرقان"، كما أن اسم "الرحمن" جاء في اختتام سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣) وافتتحت به سورة الشعراء: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرًا إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ (٥) ، وكما توعد الله المكذبين في نهاية سورة الفرقان: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان: ٧٧) فكذاك توعدهم الله تعالى في مفتتح سورة الشعراء: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦) .^(٢)

ويقول الإمام البقاعي -رضي الله عنه- متحدثاً عن ارتباط سورة "النمل" بسورة "الشعراء": "فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة كما كان مقصود التي قبلها إظهار البطش والنقمة، وأدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير، وسداد المذاهب في العيش"^(٣)، فدلّ هنا على ما بين السورتين من اعتلاق موضوعي؛ فكما تحدثت سورة "الشعراء" عن انقسام البشر تجاه دعوة الرسل عليهم السلام إلى مؤمنين وكافرين فكذاك افتتحت سورة النمل

(١) نظم الدرر ج ٥ ص ٣٤٤.

(٢) ينظر: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم ص ١٢٢.

(٣) نظم الدرر ج ٥ ص ٤٠٥.

بالحديث عن الطائفتين؛ بشارة للمؤمنين، وتعمية على الكافرين: ﴿طَسَّ يَلَاكُ ءَابَتْ
الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُعِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾
(النمل ١: ٤).

(ب) نزولياً: اتفق الترتيب النزولي مع الترتيب المصحفي من حيث سبق سورة الشعراء لسورة النمل وتجاورهما، أما السورة التي سبقت الشعراء نزولاً فهي سورة الواقعة^(١)، وسورة الواقعة تحدثت عن مصاير الأمم يوم القيامة: "أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، المقربون وأصحاب اليمين والمكذبون" وهذه المصاير تكون على حسب الإيمان بالرسول أو الصد عنهم، وقد تكفلت سورة الشعراء ببيان مواقف الأقسام من رسلهم، كما تكفلت بعرض قضية الإيمان على قريش ليختاروا المصير المنتظر لكل فرقة من الفرق التي سبق بيانها في سورة الواقعة، وبهذا تتضح العلاقة بين سورة الواقعة وسورة الشعراء التي هي تفصيل لإجمال ما جاء في سورة الواقعة قبلها.

٤- تناسب السورة مع سورة الفاتحة:

تشبه علاقة سورة الفاتحة بسور القرآن الكريم في الارتباط علاقة الأم بأبنائها؛ فهي أم الكتاب وأم القرآن، وهي التي تصدرت المصحف الشريف فافتتح بها كلام الله تعالى، وسورة الشعراء لها ارتباط وثيق - شأنها شأن كل السور - بسورة الفاتحة؛ إذ معاني سورة الفاتحة مبنوثة في سورة الشعراء مما يمتن العلاقة بينهما وذلك على النحو الآتي:

معاني السورة الكريمة وعلاقتها بسورة الشعراء:

- الافتتاح في سورة الفاتحة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هو افتتاح لكل سورة من

سور القرآن الكريم.

- حديث السورة الكريمة عن صفات الله تعالى: ﴿أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

جاء تفصيل بعضها في الآيتين الكريمتين من سورة الشعراء: ﴿قَالَ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

- قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هو الإرشاد لما

جاءت به سورة الشعراء من حيث إرشادها لعبادة الله وحده وترك ما كان يعبد

الآباء من البشر أو الأصنام؛ فقد تبرأ الأنبياء من تلك العبادات: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا

كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

وأمروا الأقوام بعبادة الله وتقواه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

- وأما ختام السورة الكريمة: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" فهذا إجمال تفصيله هو ما جاء في سورة

الشعراء من تعدد مشاهد الأنبياء فهؤلاء هم الذين أنعم الله عليهم، وأما من

كفر بهم فهؤلاء هم الذين غضب الله عليهم وهم الضالون.

ألفاظ السورة الكريمة:

ألفاظ السورة الكريمة انتشر بعضها في سورة الشعراء مثل: "وَمَا يَأْتِيهِمْ

مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ

الرَّحِيمُ، فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، وَالَّذِي

أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ، قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَاكِفِينَ،

وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، قَالَ فَعَلَّهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ".

محاوَر سورة الفاتحة:

إن محاور سورة الفاتحة: "الإيمان بالله تعالى والثناء عليه، وعبادته سبحانه

وتعالى وحده والاستعانة به في كل أمورنا، ودعاء الله تعالى بالهداية إلى الصراط المستقيم" هي المحاور التي قامت عليها سورة الشعراء التي افتتحت بالحديث عن قدرة الله تعالى الباهرة في مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ، أو في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزَلَفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ (٦٤) وَأَبْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ (٦٦) ، كما تحدثت السورة عن الإيمان بالله تعالى: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وتحدثت السورة عن اليوم الآخر في بدايته بالبعث: ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثَمَّ حَيِّينَ﴾ " وفي إيراد المؤمنين الجنة: ﴿وَجَعَلَنِي مِنْ رِثَّةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ، كما تحدثت السورة عن مصاير الناس يوم القيامة: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِبِينَ (٩٠) وَبُرُزَّتْ أَلْجَمِ لِّلْغَاوِينَ (٩١) وَأَصْحَابِ الْجَنَّةِ هُمَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَأَصْحَابِ الْجَحِيمِ هُمَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَضَلُّوا، كما تحدثت السورة عن الدعاء لله تعالى في مثل قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْأَخْرِينَ (٨٤)﴾ ، أو مثل قوله: ﴿فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، كما تحدثت السورة عن قصص الأنبياء السابقين: " موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب" عليهم السلام لتؤكد كمال الإيمان بالله تعالى ورسله الكرام.

وبهذا نجد الارتباط المتين بين موضوع سورة الفاتحة وموضوع سورة الشعراء، وبين ألفاظ سورة الفاتحة وألفاظ سورة الشعراء، وبين مكان نزول السورتين فكلتاها مكيتان، وقد أجمل الإمام البقاعي ارتباط السورة الكريمة بسور القرآن الكريم بقوله: " لما كانت نسبة البسمة من الفاتحة نسبة الفاتحة من القرآن صدرت بها الفاتحة كما صدر القرآن بالفاتحة ، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده وذلك هو إجمال لتفصيل الفاتحة

كما أن الفاتحة إجمال تفصيل القرآن من الأصول والفروع والمعارف واللطائف^(١)، وهو ما يؤكد الوحدة القرآنية في القرآن الكريم كاملا ولا غرابة في ذلك فهو كله كلام الله تعالى المعجز الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه.

(١) نظم الدرر، ج ١ ص ١٣.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وأصحابه وجميع المسلمين..؛ وبعد:

فبعد هذه التطوافة المؤنسة مع آيات سورة الشعراء بدأ من افتتاحها بالأحرف المقطعة التي هي إعجاز من إعجاز القرآن الكريم، ثم الوقوف مع المشهد الافتتاحي الذي يبين منتهى الحنو والعطف والشفقة من الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن يترحم بنفسه من الهلاك أسى وحسرة على قومه ألا يكونوا مؤمنين، ثم الإشهاد على أهل مكة بقص مشاهد الأنبياء السابقين؛ تلك المشاهد التي يعايش فيها المرء مَن كان قبله من الرسل والأمم على اختلاف أزمانها وأماكنها لأخذ الدرس والعظة؛ فالشخصيات تتغير والأفعال تتكرر، فالنمرود الذي وجه إليه سيدنا إبراهيم الخطاب هو هو فرعون الذي وجه إليه سيدنا موسى الخطاب وإن اختلف اسم كل منهما، وقوم نوح الذين عبدوا الأوثان هم أهل مكة الذي عبدوا الأوثان على اختلاف زمانها ومكانها، وهكذا تشابهت قلوبهم وإن تغيرت أسماؤهم وسماتهم، وانتهاء بالمشهد الذي يوضح أن القرآن من عند الله تعالى وليس من تهويمات الشياطين وإفكهم، ثم ختم السورة بالشهادة إلى الشعر الذي ينصر الله ورسوله والنعي على الشعراء الغاوين الذين يخدعون الناس ويضللونهم؛ بعد هذه الحصة المباركة من دراسة سورة الشعراء يطيب لي أن أقدم أهم النتائج التي وقفت عليها بعد الدراسة التي بوركت باتصالها بكلام الله تعالى وهي:

- أن سورة الشعراء جاءت نموذجاً خاصاً في سبك ألفاظها واحتباك معانيها وتناغم فواصلها وتلاحم معاقدها وتعالق مفتحتها بختامها وانصواء كل ذلك تحت عنوانها بما يقدم الوحدة القرآنية في أتم صورها وأبهى حللها، وبهذا أرشدت السورة إلى ضرورة أن ينظر الدارس إلى السورة ككل لا أن ينظر إليها

مشاهد متعددة فقط؛ لأن هذا سينأى به عن كثير من المعاني الإجمالية المقصودة التي قد لا يستطيع جمع شملها إذا صب اهتمامه على الانشغال بالجزئيات فقط دون أن يمعن النظر في كلية السورة، وهذا منهج تعليمي ينبغي أن يصاحب الدراس في جميع سور القرآن الكريم، بل في كل نص يكون مادة للدراسة.

- وأن قصص القرآن الكريم يكمل بعضه بعضاً، وأن دلالة التركيب والتكامل بين آيات القرآن الكريم من جهة، وافتراق الحكى في كل مشهد من مشاهد الأنبياء عبر القرآن الكريم كله من جهة أخرى يعطينا نظرة كلية إلى هذا القصص تجعل من الدرر المتناثرة في سور القرآن الكريم جزئيات يمكن انتظامها لتعطينا خريدة متكاملة تمثل القصة الكاملة لأنبياء الله تعالى، وأن هذا القصص قد ارتقت هنا عن أن تكون مجرد تسلية لنبيينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقط - مع شرف هذا المقصد - لتكون أداة تعليمية للحوار الآني والمستقبلي الذي سوف يكون بين الرسول ومن يليه من المؤمنين وبين المشركين وأهل الكتاب بعد ذلك بوصف هذين الطرفين الثاني في الحوار؛ ذاك أن السورة ورد فيها الأمر الإلهي بالجهر بالدعوة وتوجيه الإنذار إلى أهل مكة: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٣١٤﴾ وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١٥﴾ "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥)" فكان لا بد من أن تقدم تجربة عملية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليكون على نكر من ردة فعل الطرف الآخر المخاطب بالدعوة، وليكون توقعاً للهجوم المضاد الذي سوف يقوم به كفار مكة عند مخاطبتهم، وبهذا يكون المسلمون قد أفادوا من حوارات الأنبياء مع أقوامهم ما يردون به كيد المشركين حين مخاطبتهم، ولعل اختلاف الحوار هنا ظاهرياً فقط؛ أما التدقيق فيما وراء الحوار الظاهري فيمكن رده إلى هجومات متشابهة قام بها صناديد الكفر من قبل كما يقوم بها صناديد الكفر في عصر النبوة على ما

وضحته في ثنايا البحث.

- وأن من المناهج التعليمية في سرد القصص أن يكتفي السارد في مواضع معينة من القصة بما يفيد المسرود له؛ فهنا اقتصر الحكى على جزئيات محددة من حيوات الأنبياء تتناسب مع مقصد السورة الكريمة، وهذا مما ساعد على اكتمال الوحدة القرآنية في السورة الكريمة.

- لم يُذكر مشهد سيدنا يونس هنا في سورة الشعراء مع أنها عنيت بذكر مشاهد الأنبياء لأن السورة تتحدث عن الأقسام التي لم يؤمن أكثرهم، أما قوم سيدنا يونس فقد آمنوا كما أخبر ربنا سبحانه وتعالى في سورة "يونس": ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَازَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ ، كما أن السورة لم تذكر مشاهد أنبياء آخرين مثل: "إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، وسليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى.." وغيرهم وذلك لأن الثلاثة الأول هم من نسل سيدنا إبراهيم المباشر وذكر الأب يغني عن ذكر الابن في مثل هذا المعرض، وكذلك بقية الأنبياء قد أرسلوا إلى بني إسرائيل وقد ذكر سيدنا موسى، وسيدنا موسى هو أكثر الأنبياء خطابا عناء مع بني إسرائيل فذكره يغني عن ذكر الآخرين.

- تبين السورة الكريمة أن التناسق الجمالي مقصد من مقاصد البيان القرآني؛ فمراعاة الفواصل هنا قد أتت بشكل لافت للنظر، ومما يؤكد حرص السورة على هذا المقصد حذف ياء النفس من بعض آياتها مراعاة للفواصل كما في قوله تعالى: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا﴾ التي قرأها يعقوب وصلاً ووقفاً: (فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونِي)^(١)، ومثل هذا في سورة "الإنسان" حين صرف الممنوع من أجل هذا

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، مراجعة فضيلة الشيخ/ علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت، ج ٢ ص ٣٣٦.

المقصد الشريف: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ (٤)،
فالتناسق الجمالي ومناسبة الجوار والفواصل أدى إلى صرف الممنوع في قوله
"سلاسل"، وكل هذا يلفت النظر إلى المقصد الجمالي الذي حرص عليه البناء
الأسلوبي للقرآن الكريم.

- تقدم الوحدة القرآنية لسورة الشعراء نموذجاً للنص المحكم المترابط ولو أنه
مكون من جزئيات عدة، وفي هذا تعليم لكل من يريد أن يرتقي بكتابته
لتستحق أن توسم بالنصية أن ينتبه إلى وجوب تكامل جزئيات نصه وتآلفها،
وصدق الله تعالى: ﴿الرَّكِنُ أَحْكَمُ أَيْنُهُ ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمِ خَبِيرٍ﴾
(هود: ١).

- تعد سورة الشعراء من أوليات السور التي عنيت بسرد الحوار الذي دار بين
الأنبياء وأقوامهم، لذا نجد أن المستويات الخطابية قد تنوعت بتنوع القوم
المحكي قصتهم، ومع أن السورة الكريمة قد حملت من الحمولة المعنوية ما
تبين سرده في مشاهدها المتعاقبة، لكن هذه الحمولة يمكن اختزالها في ثلاث
كلمات: "آية، العزيز، الرحيم" وذلك لأن هذه الثلاث تمثل المفتاح السردى
لكل مشهد من مشاهد السورة؛ فكلما آية تختزل تفاصيل كل مشهد، وكلما
العزيز الرحيم تختزلان العاقبة لكل مشهد.

- إن ذكر مشاهد الأنبياء في سورة الشعراء يدل دلالة واضحة على المفارقة بين
دعوة الأنبياء وكلام الشعراء، وكان لابد أن يقدم ذكر الشعراء المذمومين تبعا
لهذه المغايرة: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (٢٢٦) ، ثم يأتي بعد ذلك الاستثناء الواضح
الذي ينفي هذا الذم عن الشعراء المؤمنين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (٢٢٧)
، كما أنه من باب الحكمة الإلهية أن يتطرق الحديث أيضا إلى نفي الكهانة

عن القرآن الكريم: ﴿ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿١١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ ﴾ لأن ذلك مسبوق بالنص على أن القرآن من عند الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ ، فالحديث هنا في معرض إنذار قريش ومناقشتهم فيما يدعون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذا اقتضى مسار النص أن يذكر كل هذا.

- لم يكن الأمر هنا في سورة الشعراء من الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم بعبادة الله الواحد كما مرّ في سورة الأعراف وغيرها من السور الكريمة، بل كان أمراً بالتقوى إذ قال كل نبي لقومه هنا: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ ، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ ، وهذا نوع آخر من الحوار يتضمن الأمر بالتقوى وهي هنا الوجه المكافئ للعبادة، كما أنه يوضح تشابه دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقومه مع دعوة الأنبياء السابقين فقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم قومه بعبادة الله الواحد الأحد كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] كما أمرت الأنبياء السابقون أقوامهم بالعبادة في سورة الأعراف، وأمر صلى الله عليه وسلم قومه بالتقوى كما في مفتتح سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ وغيرها كما أمرت الأنبياء السابقون أقوامهم بالتقوى هنا في سورة الشعراء.

- تشابه رد قبيلة ثمود على نبي الله صالح عليه السلام حين قالوا: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ ، ورد أصحاب الأيكة على نبي الله شعيب عليه السلام حين قالوا: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا

أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطَّنُكَ لِمَنِ الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴿ مع رد قريش على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين قالوا عنه كما حكى القرآن الكريم في سورة الفرقان: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ﴾ ليكون ذلك تسلية لرسولنا الكريم عما يلاقيه من تهمة من كفار مكة؛ فقد وجهت هذه التهمة من قبل إلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، فلا يحزن والله ناصره صلى الله عليه وآله وسلم كما نصرهم عليهم السلام.

- إن حشد مشاهد الأنبياء السابقين هنا في معرض الجهر بالدعوة فيه ردع لقريش؛ إذ حكى هذه المشاهد أن الأقسام السابقين طلبوا من أنبيائهم أن يأتوهم بالآيات الدالة على صدقهم وقد جاءت هذه الآيات كما طلبوا دليل صدق لدعوة الأنبياء، وعلى هذا كان على قريش أن تنتفع بهذا ولا تكرر الطلب ذاته من سيدنا محمد أن يأتوهم بآيات تدل على صدقه، لكن الشيطان الذي طمس على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم جعلهم ينساقون في المسار ذاته الذي انساق فيه الأمم الماضية، فتعجبوا من بشرية الرسول كما تعجبت الأمم الماضية من بشرية رسلهم، وطلبوا الآيات كما طلبت الأمم الماضية الآيات.
- تبين من حوارات الأنبياء السابقين أن جميع الاعتراضات التي جاءت على السنة الأقسام السابقين لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هي التي هي الاعتراضات التي جاءت بها قريش؛ مما يدل على فساد عقولهم وأن اعتراضاتهم لا تمثل شيئاً لنبينا الكريم لأنها اعتراضات تم الرد عليها من قبل من قبل أنبياء الله عليهم السلام.
- تبين من حوارية السورة الكريمة كيف أن الحوار يساعد على تصعيد الحدث

بما يجعله خاضعا لجاذبية النهاية؛ فقد احتوى كل مشهد من مشاهد الأنبياء عليهم السلام حوارا يبدأ بعرض قضية الإيمان من النبي، ويقوم المعاندون بالصد عنه واتهام النبي في صدقه ثم يتصاعد الحدث عبر الحوار إلى أن يصل إلى نهايته بإنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين، وقد تبين من دراسة الحوار في السورة الكريمة كثرة الطباق في الجمل الحوارية، وذلك لأن دلالة الطباق فيها تثبتت للمعاني المتضادة وتمكين لها في النفس، وهذا يقتضيه البيان القويم الذي يظهر تباين موقف الأنبياء مع معاندي أقوامهم ومن ثم تباين الجملة الحوارية عندهما.

- تبين من دراسة العنوان للسورة الكريمة أن تسميتها باسم "الشعراء" يمكننا أن نصنفه تحت باب (العنوان الدلالي)، والذي يدل على مضمون السورة، والحكمة المستخلصة منها؛ فالعنوان جزء من النص ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بمتن النص وأبعاده الدلالية؛ فالعنوان يعلن والنص يفصل.

- تعد زيادة نسبة القول إلى نسبة التكذيب (١٠:٥٠) دليلاً على ضعف مركز المكذبين، وأنهم لم يستطيعوا أن يقارعوا الحجة بالحجة، وأن ما في جعبتهم قد نفذ أمام الدلائل والبراهين النبوية التي قيلت على ألسنة أنبياء الله عليهم السلام.

- عرض المشهد الموسوي في السورة الكريمة استعانة فرعون بالسحرة في مواجهة نبي الله موسى -عليه السلام- وهذا يتناسب وجوده في سورة الشعراء الذين استعان بهم أهل مكة ليواجهوا كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد ثبت أن أهل مكة كانوا يخافون أشد ما يخافون من إسلام شاعر حتى إنهم اعترضوا طريق "الأعشى" وقالوا له: "يا أبا بصير إنه يحرم الزنا فقال الأعشى والله إن ذلك الأمر ما لي فيه من أرب، فقالوا له: يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر فقال الأعشى أما هذه فوالله إن في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأترى منها عامي هذا ثم آتية فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك

ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)، فقد عددوا الحجج التي تصده عن القدوم إلى رسول الله، ولم يزلوا به حتى صرفوه عن وجهته، ومن هنا استحق هو وأمثاله من الشعراء الغاوين أن يذموا في هذه السورة الكريمة.

- كما أن موقع قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ " قبل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ وقبل قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ وكلها في معرض الإبلاغ بالدعوة يدل على تزعزع موقف أهل مكة الذين تخبطوا في ردة فعلهم تجاه عرض القرآن عليهم؛ فقد سألو علماء بني إسرائيل وهم أهل الكتاب الذين يظن فيهم العلم بماهية الكتب السماوية، وسألوا الكهان عن حكمهم في القرآن الكريم، وسألوا الشعراء عن حكمهم في القرآن الكريم، وهم في حقيقة الأمر يدركون جيدا أن هذا الكلام لا يستطيعه البشر، ومع ذلك أحوجهم كبرهم إلى مثل هذه الطرق وهما منهم أنهم سيجدون من يطعن في القرآن ويقول إنه من كلام البشر، أو أنه من إفك الكهان، أو أنه مؤلف من الكتب السابقة، لكن الله تعالى أخزاهم ودافع عن رسوله الكريم ودفع عنه تلك التهم بأقوال محكمة منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَكْتَبَهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿٦﴾ (الفرقان: ٥ - ٦).

- أكد السياق في سورة الشعراء على أن القرآن الكريم ليس شعرا وإنما هو كلام الله تعالى الذي يخالف منهج الشعراء، وعليه فإن اختتام السورة بقوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ليس لذم الشعر وإنما لذم فئة كتبت الحقيقة وهي

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد،

تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل

بيروت ١٤١١هـ، ج ٢ ص ٢٣٢.

أن القرآن ليس شعراً؛ فالإسلام لا يحارب الشعر لذاته وإنما يحارب من يتخذه أداة لغواية الناس بدلاً من إرشادهم، وهذه الخاتمة تدعونا فيما تدعونا إلى أمر واجب وهو أننا لا نحارب الأشخاص لذواتهم وإنما نحارب أفكارهم الهدامة ومناهجهم الساقطة، وأن ندعو الناس إلى المنهج الصالح للحياة وهو منهج الإسلام الذي يعنى بتطبيق التصور الإسلامي الأمثل للإنسان والكون والحياة.

- جاءت قصص الأنبياء هنا لتدل على أن القرآن خطاب حي صالح لكل زمان ومكان؛ إذ تظهر في هذه القصص الخطاب إلى عبدة الأوثان، والملوك المستكبرة، وأصحاب المصانع، وأصحاب الجنات والعيون، والشاذ، والمطففين، ولم تكن كل هذه النماذج في أهل مكة؛ فلم يخبرنا التاريخ أن كان من بينهم ملكاً أو شاذاً أو صاحب مصانع، مما يدل على أن هذا الخطاب سيكون لمن سيقابلهم المسلمون بعد ذلك إلى زماننا هذا الذي يعج بمثل هذه النماذج الفاسدة.

- كما تبين أن ورود القصص القرآني في أماكنه المتعددة يمثل دليلاً من دلائل صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن الرسول سوف يهاجر إلى المدينة المنورة ومن ثم سيقابل اليهود هناك وبالطبع سوف يريدون أن يتأكدوا من نبوة الرسول محمد، وإن مما يؤكد نبوته ما يحكيه من قصص الأنبياء السابقين ومنهم نبي الله موسى عليه السلام.

- اختصت سورة الشعراء بفرائد لم تشاركها فيها سورة أخرى؛ سواء على مستوى الألفاظ أم على مستوى التراكيب مما مثلت هذه الفرائد دوال الترابط النصي كما مرّ بيانه في المبحث الأول من هذه الدراسة، وجاءت فرائد الألفاظ: "الغاوون، أخوهم، المسحرين"، أما فرائد التركيب فجاءت: "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم، من الضالين، هب لي حكماً، ما كنتم تعبدون، إذ قال لهم أخوهم.. ألا تتقون، ألا تتقون إنني لكم رسول أمين، أمين فانقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا

على رب العالمين، لئن لم تنته... لتكونن من..، قالوا إنما أنت من
المسحرين، ما أنت إلا بشر مثلنا".
- ومن التوصيات التي أراها نافعة بإذن الله تعالى أن تتم دراسات موازنة بين
طريقة عرض القصص القرآني من حيث الشكل والمضمون وربط ذلك
بمقصود السور التي سبقت فيها القصة.
وبعد فإنني أدعو الله تعالى لكل يد كريمة امتدت بالتوجيه والتصويب
لهذه الدراسة أن يجزل الله تعالى لها المثوبة في الدنيا والآخرة، وصلى الله على
سيدنا ومولانا محمد النبي العربي الهاشمي وعلى آله وصحبه وجميع المسلمين.

مراجع البحث:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأساس في التفسير، سعيد حوى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- ٣- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة.
- ٤- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
- ٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
- ٦- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- ٧- بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الظواهري، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.
- ٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- ٩- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.

- ١٠- التحرير والتطوير -، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
- ١١- تفسير الأساس، سعيد حوى، دار السالم - القاهرة، ط السادسة ١٤٢٤ هـ.
- ١٢- التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير بيروت الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ ٢٠١٦ م.
- ١٣- التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، تحقيق وتقديم أدهيل زكار، دار قتيبة بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.
- ١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ١٦- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠ م.
- ١٧- الدوال وأثرها في إحكام بناء النص القرآني وتكامله، كاظم الظواهري، حولىة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات، العدد الأول ١٤٤٣ هـ ٢٠٢١ م.
- ١٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٩- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ٢٠- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري

- أبو محمد، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت ١٤١١هـ.
- ٢١- سيمياء العنوان، بسام قطوس، وزارة الثقافة عمان الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- ٢٢- العزف على أنوار الذكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
- ٢٣- العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي، د. محمد فكري الجزار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م.
- ٢٤- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل تأملات، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- ٢٥- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٦- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.
- ٢٧- المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- ٢٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٩- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- ٣٠- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د محمد عبدالله دراز، تخريج

عبد الحميد الدخاخي، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الثانية
١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م.

٣١- النشر في القراءات العشر، الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي
الشهير بابن الجزري، مراجعة فضيلة الشيخ/ علي محمد الضباع،
دار الكتب العلمية بيروت.

٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم
بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

مجلات:

١- تقنيات الزمن في قصص الشعراء، د. تومان غازي حسين، مجلة مركز
دراسات الكوفة العدد الثالث والعشرون المجلد الأول ٢٠١١ م.

٢- دلالة التركيب في القرآن الكريم (مفهومها- وحجتها - ونماذج من
تطبيقاتها) إعداد الدكتور/ محمد ولد سيدي عبد القادر، المجلد الثاني من
العدد الخامس والثلاثين لجمعية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
بالإسكندرية.

٣- الوحدة الموضوعية في السورة المتعددة القضايا في التفسير الإذاعي للدكتور
محمد عبدالله دراز، دعاء محمد رياض أبو زيد، مجلة كلية التربية- جامعة
عين شمس، العدد الرابع والعشرون (الجزء الثاني) ٢٠١١ م.

رسائل جامعية:

١- سورة الشعراء (دراسة بلاغية تحليلية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في البلاغة إعداد/ فوزية بنت مسفر بن سلمى المطيري، جامعة الإمام محمد
بن سعود، العام الجامعي ١٤٢٥ هـ-١٤٢٦ هـ.

٢- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، مطبعة المدني
القاهرة، ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م.